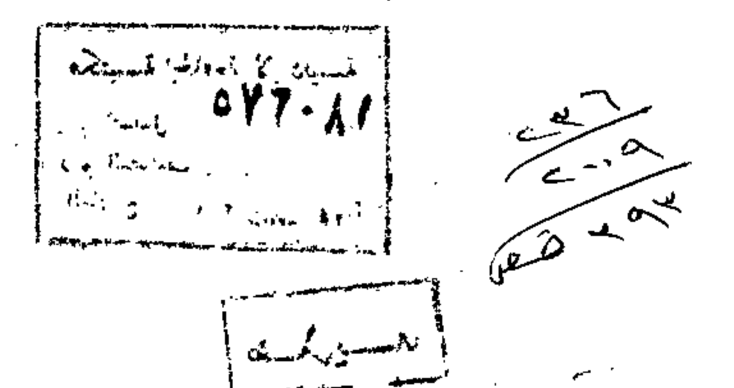


محمد يحيى طيارة

الثورة الفرنسية
واثرها في العلاقات الدولية



رسالة وضعت باشراف
الدكتور محمد الفاضل

سمحت كلية الحقوق في الجامعة السورية بطبعها بتاريخ ١٢ شباط ١٩٥٣

كلية الحقوق
فرع الحقوق العامة

العام ١٩٥٢/ ١٩٥٣

ملحوظة :

حسنا فعلت في دراستك الثورة على هدى ما تقدم ، فالتاريخ في سورية لايمكن فهم احداثه ، كبرت او صغرت ، الا على هذا النحو ويقيني انك لو عالجت الثورة الفرنسية من بدايتها حتى نهايتها ، وفصلت فيها وفسرت حوادثها الداخلية والخارجية على ضوء ما ذكرت في الباب الرابع لاجدت اجادة قصوى ولكان لك من بحثك اثر ماتع طريف .

دمشق في ١١ / ٢ / ١٩٥٣

عضو الهيئة التدريسية المشرف على وضع هذه الرسالة

الدكتور محمد الفاضل

تمهيـــــد

الثورة الفرنسية هي انقلاب شعبي ، ساهمت البورجوازية الفرنسية بنصيب وافر فيه ، غايته القضاء على النظم التقليدية الاستبدادية التي كانت قائمة في فرنسة . وتمتاز هذه الثورة بكونها ، سياسية اجتماعية اقتصادية عالمية طبقيسة .

سياسية لانها قلبت نظام الحكم الملكي المطلق الى حكم جمهوري او ديمقراطي تتجلى فيه سيادة الامة كما ورد في نظرية روسو ، ((الامة مصدر لجميع السلطات)) .

واجتماعية لانها الغت امتياز الاشراف ورجال الدين ومحت الفوارق الموجودة حينذاك بين طبقات الشعب الفرنسي فصار الشعب الفرنسي طبقة واحدة تسوده المساواة وقد كان شعار الثائرين / ، حرية ، اخاء ، مساواة .

وهي ثورة اقتصادية لانها غيرت نظام الضرائب والرسوم الجمركية والغت نظام الاحتكار وازالت القيود التي كانت مفروضة على الصناعات وانتزعت املاك الكنيسة وجعلتها ملكا للامة .

ومن هذه الصفات السياسية الاقتصادية الاجتماعية للثورة تمخضت صفتها العالمية فاشعت الثورة اشعاعها الباهر على اوروبا الغارقة في الحكم المطلق والمكبلة بنير الاستبداد . ومن ثم صارت الثورة الفرنسية وبالتالي مبادئها المعلنة في ((بيان حقوق الانسان)) منارة عالميـــة تستمد منها الدساتير بالفكرة والمعنى ان لم اقل بالحرف والمبنى .

واقصد بقولي طبقية انها قضت في فرنسة على النظام الاقطاعي واحلت محله نظامــــا جديدا بورجوازيا تسلم الحكم فيه — بعد القضاء على روبسبير وانصاره — جماعة يمثلون البورجوازية الفرنسية الكبيرة ، اي انه حل استثمار البورجوازيين واستبدادهم بالطبقات الشعبية محل — استبداد الملوك واستثمارهم .

وسأحاول في رسالتي هذه ان ادرس اثر الثورة الفرنسية الاتي بصورة مفصلة وما انتجته من حروب خارجية وثورات داخلية في ذلك الوقت من جهة وما قدمته للعالم من مبادئ سياسية اجتماعية من جهة ثانية بصورة موجزة وذلك حتى يتم معنى الموضوع وعنوانه ، (الثورة الفرنسيـــة واثرها في العلاقات الدولية) . ولا بد لي قبل ان اعالج لب البحث من ان اقارن بيـــــن الثورة وبين الجماعات لا بعد عن الثورة ما الحقه بها الرجعيون انصار كل تأخر وانحطاط واعداء كل تقدم ووثوب . لقد قال بعض المؤرخين المعاصرين وجلهم من الانكليز ، (ان الثورة الفرنسية كانت صنفا من الجنون تحولت معه فرنسة وبعض بقاع المعمورة الى مارستان .)

ولم يكن ذلك رأي الانكليز فقط في الثورة بل ذهب الاستاذ المؤرخ الالماني (نيبور) الى ، (ان الثورة الفرنسية فلتة جنون تبرأ منها فرنســة ولا يعود بمثلها الزمن ابدا) فكذبه

الواقع بثورات عديدة حدثت فيما بعد كثورة عام ١٨٣٠ و ١٨٤٨ الخ .. ولسوف يكذبه الواقع لان الشعوب الحية تتفجر دوما وابدا وباستمرار كلما ازداد الضغط والظلم والاستثمار الواقع عليها . ولذا فانني استقيت معظم رسالتي من مؤلفين فرنسيين او ممن ترجموا عن هؤلاء المؤلفين مستوحيا آرائي من نفثاتهم عن بلادهم لان ابن البلد ادرى بامره من غيره لاسيما اذا كان الدارس للثورة انكليزيا يبتعد بروحه وتفكيره وتقاليده عن روح الشعب الفرنسي ذو العقائد الوثابة المتحفزة دوما للسير مع الزمن .

ولا بد لنا من ان نعذر الثائرين فيما قاموا به من مختلف الاعمال ومهما صنعوا لان روح الفرد في الجماعة غير روحه ونفسه بمفرده ، هذا مايقوله علماء النفس المعاصرون . كما ان الدفاع عن الوطن مهما تطلب من ارواح ودماء هو غاية شريفة مجيدة . ولا اتعرض الآن لاشخاص الثورة كل بمفرده ، وانما انا ادافع عن الثورة ومبادئها بصورة عامة باعتبارانها كما يقول التاريخ ./ (طفرة من الطفرات او مرحلة من المراحل التي مرت الانسانية فيها منذ المشاعية الابتدائية وحتى عصرنا الاستعماري الحاضر) . فالفرد بتفكيره وروحه الفردية ينقلب الى ذات اخرى اذا ماانضم للجماعة ، عندئذ ينصهر في بوتقة الجماعة وتظهر الروح العامة التي تجعل الجميع يفكرون ويشعرون ويعملون بكيفية تخالف الكيفية التي يشعر بها ويفكر ويعمل كل واحد على انفراد ، ولذا فان المشاعر في الجماعة هي صاحبة الرأي وليس للعقل كبير سلطان . ومن اميز ميزات الجماعة انها اقدر على العمل والتنفيذ منها على التروي والتفكير . وكذلك كان ابطال الثورة ومن بينهم اليعاقبة ولولا انهم نفذوا بارادة فولاذية جميع مقرراتهم لما انتصرت فرنسة على اعدائها في الخارج ولولا انهم محقوا الملكيين ونكلوا بهم قتلا وتعذيبا لما اتيح لمبادئ الحرية ان تسطع على المعمورة فتغمرها بضوئها الوهاج . اجل لولا سياسة ((فرر ونفذ)) لما قامت للثورة قائمة . وهكذا الثورات ، منطق يبدو غريبا في الظاهر الا انه لابد في كل دولة ناشئة تحتم التخلص من كل اثر من آثار الماضي المظلم لابد من الحزم والصرامة في سبيل نشر العدالة والفضيلة وتحقيق المساواة . بل اين الظلم في عمل جماعة كانت مستعبدة مضطهدة الى اقصى حدود الاستعباد والاضطهاد اذا ماضربت بيد من حديد على الملكيين الخونة الذين يريدون بمساعدة الاجانب ومعونتهم اعادة كابوس الحكم الملكي المطلق الذي كان يهصر / ظهر الشعب الفرنسي قبل الثورة .

قال جوستاف لوبون في كتابه روح الاجتماع : (يهبط المرء بمجرد انضمامه الى الجماعة عدة درجات من سلم المدنية ولعله كان رجلا مثقف العقل مهذب الاخلاق في نفسه ولكنه في الجماعة سائح تابع للغريزة ، ففيه اندفاع الرجل الفطري وشدته فيه عنفه وقسوته وفيه حماسته وشجاعته

وفيه من سهولة التأثر بالالفاظ والصور مالم يكن يتأثر به وهو خارج الجماعة ثم فيه الانقياد بذلك الى فعل مايخالف عنائصه البديهية ويناقض طباعه التي اشتهرت عنه • فجماعة الثوار الفرنسيين ليسوا اشرارا والجماعة التي تندفع مفاجئة الانقذة للذود عن خبزها ووطنها هي جماعة تمتاز بفضائل كثيرة • واذا عرفنا كيف ان فرنسة الجائعة المفلسة المضطربة المنهكة من جراء سياسة ملكية سابقة حمقاء وقفت بشجاعة وثبات نادرين في وجه اوروبة الغنية المعادية المنظمة ثم كيف — استطاعت ان ترد هجماتها في نحورها لتنقلب عليها • عند ذلك نحكم على الثوار فيما اذا كانوا محقين في كل مافعلوا او في جل مافعلوا لانه مااتمت الرجعة للثورة ومبادئ الثورة بعد انهزام نابليون او قبل سقوطه بقليل حتى رأينا الشعب الفرنسي يئن من استبداد اشد وانكى ومن ديكتاتورية وضغط على الحريات لم يكن له مثيل في عهد الملوك السابقين • حتى الوطن الفرنسي كان في خطر لان شعبا يفتك به الجوع والبؤس والحرمان لهو عاجز عن ان يصون استقلال بلاده •

واخيرا لابد لمن يريد ان يدرس ماأحدثته الثورة الفرنسية الكبرى من التطورات وما كان لها من اثر في السياسة العالمية ان يستعرض ولو بصورة موجزة ماتقدمها من الاحوال وان يسرد الحوادث التي جرت في اوروبة واميركة • فانتشار الديمقراطية وفكرة الحرية والتطورات الاجتماعية التي ظهرت في عصرنا الحاضر لابد ان يكون قد سبقها الى الوجود عهد ارستقراطية وحكم مطلق وظلم — واستعباد وتأخر وانحطاط •

فكيف كانت فرنسة قبل الانقلاب التاريخي الاكبر في حياة شعبها ؟ ومن هم الفلاسفة الذين لمسوا الواقع فاحسوا بالضرورة الماسة لاصلاح ذلك الواقع ومعالجته ؟ وما هي النظريات التي — مهدت الثورة الفكرية ٪ من خلال دياجير ذلك العهد المظلم الرهيب ؟ وبالتالي ماهي الاسباب البعيدة والقريبة لتلك الثورة الطبقية التي ليست الا عبارة عن طفرة من طفرات الشعوب في كفاحها المستمر منذ المشاعية الابتدائية حتى عهدنا الحاضر • ؟؟

البــــاب الاول
اســــباب الثورة الفرنســــية

—.—

الفصــــل الاول
الاســـــباب البعيــــدة

ان حالة البلاد الفرنسية تشكل الاسباب القوية في نشوب الثورة الكبرى ٠
فالاصول الادارية القديمة والاوضاع الاجتماعية التي تأسست في فرنسة منذ القرون الوسطى ظلت باقية وذلك يعني ان الشعب الفرنسي كان مسلوب الراحة والعدالة فاقد الانتظام ٠ وتتجلــى سيئات هذه الادارة بالحكم الملكي المطلق اولا وبالامتيازات الخاصة التي يتمتع بها شخص دون آخر ٠ ثانيا وباجراءات الحكومة وادارتها للمصالح العامة ٠ ثالثا وقد كانت هذه الاجراءات مشوشة غير منظمة مبهمة لا تعلم لها شروط ولا يحدها حد ٠ وهذا مادعا الفرنسيين للكتابة عن سوء الحالة التي يرزح تحت عبئها الفرنسيون ويرجسون شرا من سوء هذه الحالة مع اوخم العواقب فيما اذا استمرت اوضاع البلاد الاجتماعية والسياسية على هذا الشكل ٠

فاستبداد الملوك يتجلى بان امور الدولة منذ عهد ريشيليو كانت منحصرة بشخص الملك ومنوطة برأيه وارادته اذ جمع السلطات الثلاث في قبضته التنفيذية والتشريعية والمالية ٠

اما الوطن الفرنسي فقد كان ينقسم من الوجهة المالية كما كانوا يقولون الى / ءامة بريتانية ء وامة بروفانس ء وامة آدن ٠ وكان كل اقليم يعد نفسه امة قائمة بذاتها ٠ وقد كان الملوك يعدون مداخيل الدولة خاصة بشخصهم فيصرفون ويبذرون على ماطاب لهم وفي اية وجهة ارادوا ٠ والضرائب المفروضة على الاقاليم لا يمكن الاعتراض عليها فلم يراع فيها نظاما ولا قاعدة ولم يكن ينظر عنــد وضعها لقدرة المكلفين ووضعهم العائلي ٠

واما العدلية فقد كانت اجراءاتها عقيمة والاصول المتبعة غير موحدة تختلف باختلاف الطبقات والتعذيب الجسدي شائع بشكل تقشعر منه الابدان ٠

واما حرية الصحافة فما كان ينظر اليها في ذلك الظلام الحكم الا ان تكون مكممة فكانت ٨ الكتب تراقب قبل ان تطبع وتحرق اذا لم تعجب اولياء الامور ٠

واستبداد الشرطة لا يحده حد فالاوامر المسماة (لترد وكاشة) كانت تتيح توقيف كل شخص دون مراجعة او تحقيق ليظل مقبورا في الباستيل الى آخر ايامه ٠

الاوضاع الاجتماعية والامتيازات ءلقد كانت الامة الفرنسية مقسمة الى طبقات ثلاث ء النبلاء والرهبان والعوام ٠ وكان لكل طبقة منها وكلاء في المجالس التي تنعقد باسم الدولة فالرهبان يتقدمون في التشريفات على النبلاء والضرائب المفروضة عليهم لا تكاد تذكر وهم معفون

من الضريبة على اراضيهم التي كانت تساوي ربع مساحة اراضي فرنسة الزراعية • اما النبلاء فكانت لهم الحقوق الاقطاعية وهي امتيازات يتمتعون بها تجاه الفلاحين كما كان من السهل عليهم نيل الوظائف بدفع ثمنها ويعطون وحدهم الاوسمة وكان لهم احترام خاص في النوادي العامة •

اما العوام الذين تؤلف منهم الطبقة الثالثة — وان كانوا يشكلون اكثرية الشعب الفرنسي فقد كانت بينهم فروق وامتيازات لبعضهم تجاه البعض الآخر • وكانوا يشترون الوظائف بدراهم معدودات فيتمتعون بامتيازات ونفوذ تخولها لهم وظائفهم • وكان نظام الاصناف يقيد الحرية الصناعية فما كان لكل شخص ان يمارس الحرفة التي يميل اليها ليعمل بها بل كان حق العمل في مهنة معينة محصورا باشخاص معينين • هذا وان حرية الاديان كانت مفقودة •

العلائق الاقتصادية بين الولايات الفرنسية :

لقد كانت هذه العلائق معقدة فكانت كل مقاطعة تحتفظ بموازينها ومكاييلها القديمة وكانت تجارة الحنطة تابعة لقيود وروابط عديدة كما كانت المكوس الداخلية بين منطقة واخرى عائقا للنمو الاقتصادي فكان المكس يستوفى مرات عديدة على نفس البضاعة •

حالة المعارف العامة والجندية :

لقد كانت المعارف بحالة غير مرضية فالجامعات غير منظمة وقليلة العدد وبرامجها ناقصة جدا وكانت الرتب العلمية تباع من تلك الجامعات الطبية والحقوقية بالدراهم كالسلع • والامية منتشرة والجهل طاغ •

اما الجندية فكانت قائمة على القسوة والصرامة المتناهية تجاه الجنود والمراتب تباع بالدراهم •

مجالس البرلمـــان :

كانت موجودة منذ القديم ولما حاولت معارضة لويس الخامس عشر في اعماله الغاها ثم اعادها لويس السادس عشر ارضاء للشعب وكان عددها عام ١٧٨٩ (١٣) مجلسا ومجلس باريس كان اوسعها صلاحية اذ كان ينظر في المسائل السياسية وكان ملك المملكة خاضع لسلطة هذا البرلمان ومناصب اعضائه تنتقل بالارث •

الاوضـــاع الاقتصـــادية :

وقد كان من اسباب الثورة الكبرى تلك الاوضاع الاقتصادية التي كانت سائدة في القرن السابع

عشر وهي عبارة عن حرب اقتصادية بين الامم تحل العداء والمنافسة محل الوئام والتعاون . ولما ظهر الفيزيوقراطيون في اوائل القرن الثامن عشر رأوا ان تترك الحرية للتجارة والعمل .

تطور انكلتره وثورة الولايات المتحدة :

وكذلك كان للتطور الذى احرزته انكلتره في تحديد سلطة الملك وتعيين حقوق الامة وواجبات الحكومة تأثير في نفوس الفرنسيين . فبينما كانت الحرية الشخصية مصونة في انكلترة من كل اذى كان الاستبداد والظلم في فرنسة آخذ بخناق الشعب بواسطة الاوامر المستورة المسماة (لترد وكاشة)

اما الثورة الامريكية فقد كانت الشعلة الاولى التي بثت الشعاع في ذلك الظلم المحكم وقد قامت بها امريكة الشمالية سنة ١٧٧٦ على السلطة الانكليزية ونادت بالاستقلال باسم الحقوق الطبيعية وقد كان لبيان حقوق الانسان الذى نشرته لجنة فرجينية الثورية في حزيران سنة ١٧٧٦ وما ورد فيه من نظريات تنطبق على الحقوق الطبيعية و آراء الادباء في القرن الثامن عشر اثر فعال في بيان حقوق الانسان الفرنسي وفي الحقيقة لقد كان هذا البيان انموذج لذلك . وقد تأثرت الافكار العامة الفرنسية بحركة الاميركان . وقد لاقت هذه الحركة عطفا وتأييدا من محبي الحرية ورجال السياسة الذين كانوا يريدون الثأر لفرنسة من انكلترة التي استولت على بعض المستعمرات الفرنسية . وكان في طليعة الناصرين للاميركان (المركيز لافاييت) و (الكونت فرجن) فخاضوا معهم غمار الحرب ضد انكلترة فكانوا عاملا فعالا في انتصار الثورة الاميركية على الانكليز . وقد كان المفكرون الفرنسيون يراقبون الحوادث بكل اهتمام ولما ظهرت الثورة الفرنسية كان اكثرهم يحبذ (بيان الحقوق) الاميركي وكان اكثرهم يرغبون في ادخال النظريات الفلسفية الموجودة فيه بالاوضاع السياسية والاجتماعية التي استقرت في نفوسهم .

تأثير الادباء وفلاسفة القرن الثامن عشر :

اتخذ فلاسفة هذا القرن السياسة عملهم فكان لآرائهم تأثير كبير في ذلك العصر فثاروا ـ النفوس ضد الحكم الملكي المطلق وضد استبداد رجال الكنيسة . واشهر هؤلاء الفلاسفة هم (لوك) و (شفتسبوري) و (بولينغبروك) من الانكليز و (فولتر) و (مونتسكيو) و (روسو) و (ديدرو) وكذلك (دالامبر) و (كوندرسة) من الفرنسيين . وكانوا يبثون المبادىء الحرة والروح الوطنية مما جعل لآرائهم وكتاباتهم التي كان يطالعها الشعب بشغف اكبر تأثير في تهيئة الثورة الكبرى رغم اضطهاد اصحابها واحراق كتبهم .

وان هذه الروح التي نشرها العلماء في نفوس الناس كانت نتيجة تحكيم العقل والمنطق في الشؤون وكانوا يرون الاوضاع الاجتماعية مختلة وانها في حاجة الى الاصلاح ويكفي للقيام بذلك الاصلاح

ان تريد الحكومة ذلك .

ولا بد من ذكر الماسونية فان محافلها كانت من اكبر ما ساعد على بث فكرة الحرية في فرنسة قبل الثورة وبعدها لانها حصرت مساعيها في تعميم فكرة الاخوة بين جميع البشر على اطلاق الحرية الدينية للجميع كما اوجبت احترام معتقد كل انسان وعدم نبذ الاديان ومن مبادئها خدمة الانسانية والحقيقة وتقدير الجمال وعمل الخير واهم قاعدة من قواعدها (الكل للواحد والواحد للكل) . وغاية هذه الجمعية تتجلى بفكرة الحرية والمساواة والاخوة ، كلمات ثلاث طالما نادى بها الثوار الفرنسيون .

الفصل الثاني

الاســــباب القريبة للثــــورة

وتتلخص هذه الاسباب القريبة او المباشرة بعهد لويس السادس عشر وما جرى خلاله من احداث عهد لويس السادس عشر واحداثه .

ان اكبر شر ماثل للعيون حينئذاك هو سوء الحالة المالية لان فرنسة كانت مهددة بافلاس خطير مخيف فكيف عالج لويس السادس عشر هذه الحالة المالية وهل وفق في حلها ؟ لم يكن بمقدور هــذا الملك ان يحكم لان الطبيعة حرمته صفاء الذهن وحدة التفكير وسرعة البت في القضايا واغتنام الفرص وموهبة الجد والمثابرة تلك الصفات التي يحتاج اليها كل رجل دولة . ولذا نرى ان التيار قد جرف هذا الملك دون وجهة او هدف من غير ان يقدر على توجيه الحوادث بنفسه وقد زادت محنته بلا بزوجته الاميرة النمساوية المتكبرة المسرفة التي حقد عليها الشعب الفرنسي لترفعها وطيشها وعدم محبتهــــا للشعب الفرنسي .

وقد فوت الملك آخر فرصة لمنع الثورة باجراء الاصلاح حينما دعا برلمانات باريس وفرنسة للانعقاد اذ حال بذلك دون التقدم والاصلاح لان البرلمانات اذ ذاك كانت عقبة كأداء في وجه الادارة . وقد اقترح (ترغو) اعظم وزراء فرنسة الغاء نقابات طوائف العمال واطلاق تجارة القمح من كل قيد الا انه لم يوفق لعزل من منصبه بعد ان لم يبق في الوزارة سوى ثلاثة اشهر لم يترك بعدها سوى ذكريات ـــ الاصلاحات الخائبة . ومن ثمة كان عزله بمثابة دليل للرجال المفكرين بان اصلاح فرنسة لن يأتي من اعلى بل يجب ان يبحث عنه في جهة اخرى . ثم اعقب توبرغو (نكر) المالي الحاذق الذي شرع في انشاء مجالس محلية تحل محل مندوبي الملك في الاقاليم في تأدية واجباتهم الادارية . وعزل من منصبــــه سنة ١٧٨١ . وبعدئذ تعاظم شأن المشكلة المالية في فرنسة فاصاب العجز الموازنة ولكن عدم نزول

الاشراف عن امتيازاتهم جعل العاصفة تشتد هبوبا وحدة (نكر) فشل (كالون) كما فشلت مقترحات عديدة اخرى •

استدعاء مجلس طبقات الامة :

في الثامن من اغسطس سنة ١٧٨٨ دعي مجلس طبقات الامة من قبل الملك الا انـــه لم يوفق ايضا في حل المشكلة المالية المستعصية لان لويس السادس عشر كان ضعيفا ولم يدرك ـــ الحركة الهائلة التي ترتبت على دعوة مجلس الطبقات في فرنسة والتي خلقت رأيا عاما سياسيا قوي الارادة شديد الهياج • وقد كان الرأى العام يطالب وتتذاك في عرائضه من الحكومة بان لا تفرض الضرائب من غير موافقة الشعب وان تلغى ضريبة البيوت والعقارات الثابتة • ولما اجتمع المجلس في ١٧ يونيو سنة ١٧٨٩ اعلن اعضاء المجلس الوطني انهم يكونون (الجمعية الوطنية) وفي ٢٠ يونيو في (ملعب التنس) اقسموا بان لا ينفضوا حتى يضعوا لفرنسة دستورا وقد كانوا في عملهم هـــذا مدعومين بقوة الرأى العام لانهم عبروا اذ ذاك عن ارادة الشعب الفرنسي الهائج •

ومنذ ذلك الوقت بات اصلاح النظام الملكي القديم عملا شاقا عسيرا • ومما اسرع في سير الحوادث أن (نكر) المعادي الى الوزارة اقيل في ١١ يوليو تحت تأثير بطانة الملك الفاسدة المكونة من طبقات تمقت الشعب الفرنسي ثم نصب (برجلي) قائدا على معسكر قرب (فرساي) ومال الملك الى سياسة البطش والقوة بدلا من الاصلاح فكان الانفجـــار •

الباب الثاني
نشوب الثورة وسقوط الملكية

الفصل الاول
الديبلوماسية الفرنسية في عام ١٧٨٩

لقد ارتكزت سياسة فرنسة الخارجية قبل انقلاب سنة ١٧٨٩ على اساسين :

الاساس الاول : تحالف فرنسة مع النمسة منذ عام ١٧٥٦ تمكنت اواصره بزواج لويس السادس عشر بماري انطوانيت الاميرة النمساوية . وقد كان الهدف من هذا التحالف ضمان عدم وقوع اعتداء بروسي كي تتفرغ فرنسة لمواجهة انكلترة التي تنافسها على المستعمرات . غيران هذه السياسة لم تكن موفقة باعتبار ان السياسة الفرنسية امست خاضعة للسياسة النمساوية التي كانت تغذيها بالمال والجند فنتج عن ضعف فرنسة ضياع كندا وغيرها من المستعمرات بعد انتصار انكلترة في حرب السبع سنوات معها .

اما الاساس الثاني : للسياسة الفرنسية قبل الثورة فهو التحالف العائلي ضد انكلتره القائم مع اسبانيا التي كان يحكمها (آل بوربون) . وقد كانت الديبلوماسية الفرنسية في ذلك العهد متميزة بضعفها وعجزها عن مناوأة الديبلوماسية الانكليزية المتفوقة في تجارتها واستعمارها .

ولعل الظافر الذى احدثته الديبلوماسية الفرنسية في ذلك الحين هو ذلك التقرب الذى اتامته بينها وبين روسيا وعقدها معاهدة معها في عام ١٧٩٧ فتحت امام تجارتها الموانئ الروسية على البحر الاسود وبذلك نفذت الى البحر الاحمر فاتمت علاقتها مع مصر في الشرق واحتفظت بحضر سيادتها التجارية في الشرق الادنى .

الفصل الثاني
سقوط الباستيل

في الرابع عشر من تموز سنة ١٧٨٩ هجم الشعب الفرنسي الثائر على الباستيل واستولى عليه بالقوة فكان فرح الشعب عظيما بالقضاء على ذلك المعقل الذى كان في ذلك العصر رمزا للظلم والاستبداد . وعد ذلك اليوم بمثابة قضاء على حكومة الملك المستبدة بل كان بمثابة طعنة موجهة الى صميم الحكم المطلق في جميع بلاد اوروبة وانتصارا للشعوب المغلوبة المستعبدة . ولذا فان الشعب الفرنسي يحتفل كل عام بهذا العيد لانه بداية لتاريخ الحرية الفرنسية .

وقد كان لسقوط الباستيل رد فعل في سائر انحاء البلاد الفرنسية فما ان ترامت الانباء حتى هجم الثوار على الاقطاعيين ونهبوا ما فيها ثم احرقوها واعملوا النار ايضا في دفاتر الضرائب وسجلاتها وعقدوا اجتماعات في القرى قرروا فيها الامتناع عن اداء اى رسم او اية ضريبة الى اولئك النبلاء . تلك هي نتائج البؤس والشقاء التي اصابت الفرنسيين اجيالا طويلة انقلبت على رؤوس مسببيها فقام الشعب بثورته واندفع تياره الى الشوارع مظهرا نقمته على الطغيان فما كان من المجلس الوطني ازاء سير عجلة التاريخ الا ان وافق على ماجرى على يد الشعب الفرنسي الثائر . وفي ٤ اغسطس تنازل ٤٥ نائبا من الاقطاعيين والرهبان من حقوقهم الاقطاعية وامتيازاتهم احقاقا للمساواة العامة وتقرر مايلي :

الغاء النظام الاقطاعي وسقوط جميع الحقوق الاقطاعية المتعلقة باسترقاق الفلاحين واستملاك الاراضي المحلولة كما تقرر ابطال بيع الوظائف ببدلات معينة ووجوب المساواة في نيل الوظائف بين جميع الفرنسيين الا انهم لم يتنكروا للملك فلقبوه (بمحرر الحرية الفرنسية)

الفصـــل الثالـــث

بيان حقوق الانســـان وتحليلـــه

ان ابرز ماتتميز به الثورة الفرنسية هو ذلك البيان التاريخي العظيم الذى انبثق عن هذه الثورة وهو مجموعة القواعد الاساسية لبناء المجتمع الانساني وعلاقة الافراد بالحكومات . وقد قرر في تاريخ ٢٦ اغسطس ١٧٨٩ . ونظرا لآثاره في الحقلين العالمي والداخلي لابد من ايراده كما وضع ومن ثمة تبيان نتائجه .

ان نواب الشعب الفرنسي قد اجتمعوا بهيئة مجلس وطني ورأوا ان ماينزل بالمجتمع الانساني من المصائب والشقاء وفساد الحكومات يرجع الى سبب واحد وهو الجهل بحقوق الانسان او تجاهلها والعبث بها ولذلك قرروا ان يعلنوا في بيان رسمي ")(حقوق الانسان الطبيعية المقدسة) التي لايصح ان تمتد اليها يد العبث والمساومة ولتبقى محتويات هذا البيان راسخة في اذهان جميع بني الانسان تذكرهم على الدوام بحقوقهم وواجباتهم ولتكون احكام السلطة التشريعية واعمال السلطة التنفيذية صالحتين دائما للسير مع الاغراض التي يصبو اليها المجتمع الانساني من جميع النظم — والاوضاع السياسية كي تبقى تلك الاحكام والاعمال مرعية محترمة ولتكون مطاليب الناس المبنية على المبادئ الواضحة والتي لانزاع فيها معطوفة فيما بعد على صيانة الدستور وضمان سعادة المجموع .

وعليه يعلن المجلس الوطني مشهدا الحق العلي الاعلى الحقوق الآتية للانسان ولكل واحد من ابناء الوطن . .

المادة الاولى : يولد الناس متساوين في الحقوق ويحتفظون بهذه المساواة طول ايام حياتهم ولا تمييز ولا تفاضل بين افراد الهيئة الاجتماعية الا فيما يعود على الجميع من النفع والفائدة (نظرية المساواة العامة)

المادة الثانية : الغرض من تأليف كل مجتمع سياسي صيانة حقوق الانسان الطبيعية التي لا تسقط مهما تقادم عليها الزمن . وهذه الحقوق هي : الحرية والتملك وطمأنينة النفس ومقاومة الاضطهاد (نظرية الاستمتاع بالحقوق الطبيعية) .

المادة الثالثة / : الشعب مصدر كل سلطة في الاصل ولا يحق لأية هيئة او اى فرد ان يجعل لنفسه نفوذا او تأثيرا لم يكن مصدره الشعب (نظرية السلطة القومية) .

المادة الرابعة : الحرية تنحصر في امكان عمل كل مالا يضر بالغير . وعليه فان تمتع كل امرئ بحقوقه الطبيعية تنتهي عند الحدود التي تضمن لغيره التمتع بتلك الحقوق وهذه الحدود انما تعين بالقوانين (نظرية الحرية الشخصية)

المادة الخامسة : ليس للقانون ان يحظر على الناس من الاعمال الا مايعود بالضرر على المجتمع وكل مالا يمنعه القانون مباح . ولا يجوز اكراه امرئ على عمل لا يحتمه القانون (نظرية منع الاستبداد)

المادة السادسة : ان القانون هو مظهر الارادة العامة للامة . ولابناء الوطن جميعا حق الاشترا في وضعه بانفسهم او بواسطة نوابهم (نظرية حق الامة في التشريع) .

ويجب ان يكون القانون مساويا بين الجميع سواء كان مانحا او مانعا ، حاميا او معاقبا . ولما كان الجميع متساوين امام القانون وجب ان يكونوا كذلك بالنسبة للاستخدام في الوظائف العامة لا تفاضل بينهم الا في اختلاف كفاياتهم ، ولا تمييز الا فيما تقتضيه مواهبهم وفضائلهم .

ان هذه المواد الست الاولى هي مواد عقائدية تؤلف نظرية عامة ونهجا سياسيا للحكم . ومن آثارها في عصرنا الحاضر المادة الثالثة وقد نقلها واضعوا الدستور السوري لعام ١٩٥٠ بالحرف الواحد وهي تعلن مبدأ السيادة القومية اى ان السيادة للامة ولا يمكن لأي فرد او جماعة ادعاؤها .

المادة السابعة : لا يجوز اتهام انسان او حبسه او القبض عليه الا في الاحوال والاصول المعينة في القانون . (نظرية الحصانة الشخصية)

والذين يصدرون الاوامر الكيفية او يلتمسون او يتوسطون بالالتماس لانفاذ امر مخالف للقانون يستحقون العقـــاب •

ويجب على كل واحد من ابناء الوطن يدعى او يقبض عليه باسم القانون ان يطيع حالا • واذا ابى او قاوم يستحق العقاب (نظرية وجوب الاطاعة للقوانين)

المادة الثامنة : لايصح ان يحتوي القانون الا على العقوبات التي تستلزمها الحاجة الاجتماعية ولا يصح ان يعاقب انسان الا بمقتضى قانون صدر ونشر قبل ارتكابه الجريمة (نظرية عدم رجعية القوانين)

المادة التاسعة : لما كان كل انسان معتبرا انه بريء الذمة حتى تثبت ادانته فاذا دعت الضرورة للقبض على امرىء قبل التحقق من ادانته كانت كل شدة تستعمل معه لاجل القبض عليه • من دون ان توجد ضرورة مبررة لاجراء تلك الشدة مدعاة للعقاب القانوني الشديد •

ان تطبيق هذه المواد (٧ و ٨ و ٩) من شأنه حماية الحرية الشخصية وانها مازالت حتى الآن دساتير يعتمد عليها القضاة ورجال القانون •لاجرم ولا عقوبة بلا قانون •••وان الاصـــل براءة الذمـة الخ ••••

المادة العاشرة : لايؤذى انسان بسبب آرائه وافكاره وان كانت دينية بشرط ان تكون تلك الآراء والافكار غير مخلة بالنظام العام الذى يقرره القانون (نظرية حرية الاعتقاد) •

المادة الحادية عشرة : حرية الجهر بالآراء والافكار من اقدس حقوق الانسان •فلكل واحد مـــن ابناء الوطن الحق في ان يتكلم ويكتب ويطبع وينشر بملء الحرية بشرط ان يتحمل تبعة اساءة استعمال هذه الحرية في الاحوال التي يبينها القانون (نظرية حرية الكلام والكتابة والنشر)

فهاتان المادتان ماهما الا اسس لانطباعات ماتزال تسطر في الدساتير الحديثة بخصوصة تأمين حرية الفكر وحرية تبادل الآراء • اقول انطباعات تسطر ••• وفقط تسطر لان اثر الثوار الفرنسيين حفظ في الذهن دون ان ينطبع في القلب الاسيء استعمال مكين هذا الاثر ولذا — مازالت حرية الفكر وتبادل الآراء مضغوطا عليها ان لم اقل بانهما تحتضران •

المادة الثانية عشرة : يتوقف لكان تمتع الناس عامة وابناء الوطن خاصة بحقوقهم على وجود سلطة عامة • وعليه فان هذه السلطة منشأة لمصلحة المجموع لالمصلحة من يوكل اليهم امر ادارتهـــا •

(نظرية وجود الحكومة لخدمة الامة)

المادة الثالثة عشرة : الحاجة الاجتماعية تدعو لاشتراك الجميع بالنفقات اللازمة لبقاء السلطة العامة وادارة الحكومة . ويجب ان تكون هذه التكاليف موزعة على جميع ابناء الوطن بالتساوي كل بحسب طاقته . (نظرية المساواة بالضرائب)

المادة الرابعة عشرة : : لابناء الوطن جميعا الحق في ان ينظروا بانفسهم او بواسطة نوابهم في الضرائب التي تقتضيها المصلحة العامة وان يتذاكروا بملء حريتهم بشأن تقريرها وعدمه ولهم ان يحددوها ويعينوا قواعد ربطها وطريقة جبايتها ومدتها وان يراقبوا طرق انفاقها (نظرية حق الامة في تقرير الضرائب وتعيين طرق انفاقها) .

المادة الخامسة عشرة : للهيئة الاجتماعية ان تطلب حسابا من كل موظف ومستخدم عن اعمال — وظيفته . (نظرية حق الامة في سؤال الحكومة عن اجراءاتها) .

المادة السادسة عشرة : كل هيئة اجتماعية لاضمان فيها لحقوق للنسان ولا فصل فيما بين سلطات الحكومة الثلاث (التشريعية والقضائية والتنفيذية) تعد واهية الاساس (نظرية تفريق السلطات) .

المادة السابعة عشرة : لما كانت الاملاك مصونة لايصح العبث بها فلا يجوز انتزاع ملكية مالك — واستملاك ملكه الا اذا اقتضت ذلك المصلحة العامة وفقا للقانون واعطي صاحبه التعويض العادل قبل الاستملاك . (نظرية استملاك الاملاك للمنافع العامة) .

فالمادة (١٤) اضت فرض الضرائب بعد موافقة الشعب عليها والمادة ١٧ جعلت الملكية العامة مصونة من كل تعد او تجاوز . اما المواد (١٣ و ١٥ و ١٦) فقد وردت لتنظيم السلطات العامة في الدولة .

تلك هي المبادىء الاساسية المعروفة لدى العالم بحقوق الانسان التي قررها المجلس الوطني الفرنسي فهي زبدة افكار العباقرة الافذاذ ومجمل الابحاث الفلسفية العظيمة التي توصل اليها الفكر الانساني في ذلك العهد وهي الاشعاع الذي اهتدت بهديه الشعوب في حياتها السياسية منذ انبثق فجر الثورة الفرنسية والمركز الرئيسي الذي تستمد منه الامم الحرة دساتيرها في جميع انحاء العالم . ولا بد قبل ان اختم البحث من هذا البيان من ان اظهر صفاته المميزة

تمهيدا للبحث :

١ — لهذا البيان صفة عامة شاملة لانه يبحث في حقوق يجب ان يتمتع بها الانسان والمواطن على وجه البسيطة كلها فقواعده اذن مثالية يمكن لكل شعب ان يقتبسها .

٢ — ان اغلب قواعد هذا البيان وردت بشكل نظري غير مقترن بمؤيد ومن هنا كان انتشارها في العالم فتبنتها كثير من الدول .

٣ — ان البيان لاينص الا على الحقوق الفردية فلم يبحث حقوق العائلة ولا الحقوق الاجتماعية وحق تأليف النقابات وحق الاعتصاب كما وانه اعتبر حق الملكية مقدسا ومصونا من كل تعد كما واصر على المساواة بين الافراد وهي مساواة حقوقية امام القانون واباح للجميع الحصول على الوظائف العامة دون اي تفضيل الا (بالفضيلة والذكاء)

٤ — لقد حمى البيان حرية الافراد وامنها بواسطة القانون لا ازاء القانون فكان البيان في ذلك محاولة للتوفيق بين نظريتين تظهران متناقضتين وهما : نظرية سيادة الحقوق الفردية وسيادة القانون (لوك وروسو) وهذا التوفيق ان هو الا اساس للحقوق العامة الفرنسية التي اخذت عنها بلادنا وكثير من بلاد العالم فالدساتير غالبا ماتنص على تلك الصيغة التقليدية (تمارس الحرية (اية حرية) ضمن حدود القانون الخ ..)

ان هذا البيان الذي لم تكن له مؤيدات كما للقوانين العادية او الدساتير قد كانت قواعده كما وضعها (ميرابو — مونيه — بارير) ((حقائق صالحة لكل الازمنه وكل الاصقاع اي ان ليس لها صفة القانون الايجابي الموضوع)) وعلى هذا فيمكنني ان اقول : ان بيان حقوق الانسان ماهو الا انموذج تهتدي الدساتير بهديه وتنتهج نهجه ومن هنا كان اثره الداخلي في دساتير الثورة وما بعدها كما كان له ذلك الاثر الخارجي في اقتباس معظم دول العالم المتمدين مبادئه وتبنيهـا .

الفصـــل الـــرابع

ســــقوط الملكيــــــــــة

بعد الفراغ من وضع مبادئ حقوق الانسان اخذت الجمعية الوطنية تتناقش في مواد — الدستور فخولت الملك سلطة رفض القوانين اي مايسمى (بحق الفيتو) فيران هذا الحق قيد تحت ضغط الشعب الفرنسي فصارت الكلمة النهائية للامة في اصدار القوانين ولو كان الملك معارضا لها واثناء وضع الدستور والمناقشة في مواده ضج الناس بالشكوى من غلاء الخبز خاصة وقد ترامى للناس بان بعضا من جماعة الملك قد داسوا الشارة المثلثة الالوان رمز الثورة . فتوجه الجمهور في ٥ اكتوبر الى فرساى مقر الملك وجاءوا به في اليوم الثاني الى (باريز) وكانوا يصرخون (اتينا بالخباز والخبازة وابن الخباز الصغير) وهم يقصدون الملك والملكة وابنهما .

ولما رأى الملك نفسه كالسجين في باريز وان لا انصار له اليه بين افراد الشعب سولت له نفسه الفرار من فرنسة الى الخارج ليطلب المساعدة من زملائه الملوك في اوربا الا ان ميرابــو نصحه بالاقلاع عن هذه الفكرة وقد ابدى له عدم ارتياحه من بقائه في باريز ووجه اليه نصائح تقربه من شعبه ا ان الملكة وبطانته الفاسدة قد نظموا فراره الى الخارج ليطلبوا مساعدة الدول الاجنبية من جهة واثارة الفوضى بواسطة المهاجرين ضد رجال الثورة من جهة اخرى . وفي مساء / ٢٠ / يونية سنة ١٧٩١ غادرت الاسرة المالكة باريز ولما وصل الملك الى فارين تبين امره وارغم على العودة الى باريز . فضج الشعب الفرنسي لهذا النبأ الذى يثبت خيانة لويس السادس عشر والتجاءه الى الاعداء وتركه الشعب الفرنسي وحيدا فحطمت تماثيله في الميادين وكسرت عند الباعة ومن ذلــك الحين بدأت الثقة بالملك تتضاءل وبدأ شعور الكراهية نحنه يقوى ويتعاظم .

وفي / ١٧ / يوليو سنة ١٧٩١ اطلق (لافاييت) النار على المتظاهرين في حي (الشان دى مارس) فانقطع خيط الاصلاح . ثم اخذ الامبراطور (ليوبولد الثاني) اخو الملكة يفكر في — تخليص الاسرة ومعارضة الثورة والقائمين بها فاصدر مع ملك بروسيا قرار (بيلينتز) الذى كان سببا في اقتناع الفرنسيين بوجود صلات سرية بين الملك وملوك اوربة الاخرين في الخارج وان الملـك يتآمر مع اعداء الوطن ضد الثورة في فرنسة . ولما وقعت الحرب مع النمسا نشر الدوق (برنزويك)

في / ٢٧ / يوليو سنة ١٧٩٢ تصريحه الذى دعا فيه اهل فرنسة للعودة الى السكينة وانذر اهل باريز بالويلات اذا هم هددوا ايديهم الى الاسرة المالكة بأى اذى • فاجمعت الاحزاب على التخلص من الملك وان اختلفت في الطرق فتقرر في بادىء الامر الاكتفاء بتوقيفه فنقل الى سجن التامبسل)

واثناء هذه الاحداث الداخلية كانت الاحداث الخارجية تسير جنبا الى جنب مع الاحداث الخارجية فقد اعلنت بروسيا والنمسا الحرب على فرنسة فانتصرت جيوشهما في بادىء الامر • ولما انسحبت بروسيا من الحرب وبقيت النمسا لوحدها انتصر الفرنسيون بقيادة (ديموريه) في موقعة (فالمي) وقد كان الشاعر الالماني الكبير (غوته) حاضر الموقعة فقال : (في هذا اليوم وفي هذا المكان ولد عصر جديد في تاريخ العالم) وفي ٢١ سبتمبر اى بعد يوم من موقعة فالمي انعقد المؤتمر الوطني واعلن ان فرنسة قد انتهى بها عهد الملكية وانها انتقلت من مملكة اوتوقراطية الى جمهورية ديمقراطية • ثم اعدم الملك بتأثير اليعاقبة بعد محاكمته ومهما يقل انصاره في تبرئته محتجين بطيب قلبه وضعف ارادته • • • فعلى كل حال كان القضاء عليه انهاء للحكم الاوتوقراطي الذى ظل الشعب الفرنسي يئن تحت جبروته وطغيانه سنين طويلة •

الباب الثالث

الحكم الثوري وعهد الارهاب

لقد جرى في هذا العهد احداث داخلية وخارجية بالغة الاهمية ، وقد كانت تلك الحوادث من الوقائع التي اعطت الثورة الفرنسية قيمتها كثورة حقيقية اثرت في الشعب الفرنسي اولا من حيث القضاء نهائيا على طبقة الاقطاعيين واقامة الطبقة البورجوازية الكبيرة محلها كما وانها مهدت للدول الصغيرة المستضعفة ان تتغلب فتثور على الطغاة الحاكمين فيها وتطيح بالحكم المطلق ثانيا .
ومنذ ذلك الوقت اخذت الشعوب تشعر بسيادتها خاصة بعد ان اتخذت الثورة الفرنسية طابع الفتح لتحرير الشعوب من نير الطغيان وكان ان ارغم البابا على قبول الاستفتاء في مقاطعة (افينيون) التابعة له وانضمامها الى فرنسة نتيجة لهذا الاستفتاء .

ولذا رأيت ان اسرد في هذا الباب الوقائع التالية :

١ — اعمال الجيرونديين .

٢ — اعمال اليعاقبة وعهد الارهاب .

٣ — العلاقات الدولية خلال هذين العهدين .

الفصل الاول

الحكومة الجيروندية واعمالها

لقد كان في فرنسة ثلاث احزاب رئيسية :

١ — حزب اليمين الدستوري وهم انصار الدستور الموضوع .

٢ — حزب الشمال وهم اعداء الملك ودعاة الحكم الجمهوري وينقسمون الى فرعين :

آ — اليعاقبة ويناصرهم الشعب وكان لهم ناد يرأسه روبسبيير .

ب — الجيرونديون وقد كانت الغلبة لهم بادئ ذي بدء ولكنهم مالبثوا ان اظهروا ميولهم البورجوازية لانهم ينتمون الى تلك الطبقة من النبلاء التي سارت مع الثورة في بدايتها ثم مالبثت ان استرجعت رشدها فحاربت الثورة ورجالها وقد ختمت اعمالها بخيانة (ديمورييه) الذي انضم الى اعداء الوطن .

٣ ــ حزب الوسط او حزب المستقلين وما كان يميل لاية جهة معينة •

ان اول اجتماع عقده المؤتمر الوطني كان في ٢٠/ / سبتمبر اعلن فيه انتهاء عهد الملكية وافتتاح عهد الجمهورية وقد رجحت كفة الجيروندييين في اول عهد هذا المؤتمر • ذلك المؤتمر الذى كان نائبا عن الشعب في وقت خلت فيه البلاد من الحكومة ليتولى حكمها في الداخل ودفع غارة الاعداء عنها في الخارج وليقرر شكل حكومتها النهائية •

ماهي الاعمال التي قام بها الجيروندييون :

لقد اصدروا دستورا ونجحوا في شن الحلاب على الاعداء واخيرا اتهموا بخيانة (ديموريه) سنة ١٧٩٣ عندما صده النمساويون عن (نيروندن) وتوقف عن القتال وفكر في ارجاع الملكية فقام اليعاقبة وطلبوا محاكمة الجيروندييين فالقوا القبض على (٢٢) منهم استطاع بعضهم الافلات والانضمام الى اعداء الثورة وقد نجحوا في اثارة الفتنة وازعاج اليعاقبة فاشتعلت في انحاء فرنسة نار الحرب الاهلية وقامت (مرسيليا وطولون وبوردليون) في وجه الجبليين واعلنوا العصيان عن حكومة باريز • انها لاعمال تدل على حب الوطن تلك التي قام بها الجيروندييون المعتدلون : الوطن في خطر وهم في الداخل يثيرون الشعب على اليعاقبة بدلا من الاستشهاد في معركة النضال الوطني •

لقد كان كل من سعى في اعلان الحرب على الاعداء لتعميم فكرة الحرية في البلاد الاجنبية ان يتم واجبه الوطني • الا ان اعلان الحرب في ٢٠ نيسان سنة ١٧٩٢ في بداية الثورة وقبل ان يتم نضجها وفي ظروف داخلية صعبة كانت فرنسة فيها ضعيفة هزيلة لامعدات لديها ولا عدد لايمكن ان يسمى سوى خيانة للوطن • فحكومة الملك الجيروندية كانت متفقة من حيث الرغبة في اثارة الدول الاجنبية مع لويس السادس عشر وحاشيته وما الغاية من ذلك الا فرض احكام استثنائية كعادة الدول الهزيلة في ايام الحروب لتثبيت حكمها وسيطرتها • وقد نجح لويس السادس عشر فكانت الحرب ولكن ديموريه لم ينجح في تراجعه امام النمسا لاعادة الحكم الملكي لفرنسة الثائرة • واثبت الشعب الفرنسي وجوده عندما هزمت فرنسة ففرض انقلاب (١٠ اغسطس)

الفصـــل الثانـــي

اليماتيـة وعهـــد الا رهـاب

منـذ ٢ حزيران عام ١٧٩٣ صـار (روبسبيير) الرئيس الفعلي في حكومة الكونفونسيون واخذ يسعى لجمع السلطات بشخصـه لينشئ الجمهورية التي تقوم على سيادة الفضيله والتساوى بين جميع المواطنين وقد كان الطريق الى ذلك شائكا معقد الأن السلطـه حينذاك كانت موزعـة بين اربع هيئات : اللجنة التى تمثل القـوة والكونفونسيون الذى يمثل القانون والمجلس البلدى الذى يمثل الشعب والنادى اليعقوبي الذى يمثل المبدأ والعقيدة . وبالتالي فقد كان على روبسبيير ان يحارب الجيروندييين اليمينيين الرجعيين الذى اثبت الواقع خيانتهم وكان عليه ان يحارب اليساريين المتطرفيين الذين كانوا يدعون لنبذ الدين وعبادة العقل في شخص امرأة حسناء نصبوهـا آ لهـا في كاتدرائية باريس كما كانت مهمته السهر على سـلا مة الوطن وتأمين الجيوش والعتاد والمال اللا زم للدولـة بفرض الضرائب على المتمولين ومصـادرة املا ك المهاجرين .

وقد كان روبسبيير ناجحا في التغلب على تلك المصاعب فقضى على الجيروندييين بمساعدة الايبريين (جماعـة ايبرت) فخضـعت له الكونفونسيون وقضـى على (ايبر) واشياعه الذين كانوا يريدون القيام بمذابح يذهب ضحيتها البرئ مع المجرم فسيقوا الى الموت وسيطر بذلك على المجلس البلدى . كما انه تخلص من (دانتـون) الذى اثبت علا قاته المريبة بالبلا ط ومحاولة انقاذ الملك يسيطرته على لجنة الا نقاذ .

وهكذا توصـل روبسبيير الى جمع السلطات بيده الفولا ذية ومن ثم كان (عهد الا رهاب) في التاريخ يستنكره الملكيون الرجعيون من جهـة لا نه قضى على (الثوار الكاذبين) كما يسميهم — روبسبير اصدقاء الملك . كما يؤ يده التقدميون الفطنون لانه دعـم الثورة في الداخـل من جهـة بالقضـاء على انتصـار النظام الا قطاعـى والملكية وانقـذ الوطن الفرنسي من القوى المعادية الخارجية من جهـة اخـرى . وقـد برر روبسبيير اللجـو الى الا رهـاب ورأى انه كان محقـا :

((تكون الفضـيلة عـاجزة اذالم تعتمد على الا رهـاب ويكون الا رهاب شـؤما اذالم يقـم على

الفضيلة)) • وقد كان يقسو في ارهابه مطمئن البال لانه صاحب رسالة نبيلة يقتضي تحقيقها القضاء على كل معارض دون رحمة او اشفاق او تراجع • فوضع لذلك ثلاثة مبادئ • الارهاب الذى يحقق الفضيلة ووجود الكائن الاسمى والمساواة في الحقوق بين المواطنين • واراد ان يخضع لهذه المبادئ كل انسان وكل من يحيد عنها فهو (مواطن فاسد) • وما قضى على اعدائه الا تنفيذا لهذه المبادئ الثلاثة وقد كان اولئك الاعداء جماعة وصوليون بورجوازيين يريدون استغلال الثورة لمصالحهم الشخصية والحيلولة دون تحقيق مبادئ المساواة •

وبتأثير ومعونة رجاله وانصاره المتحمسين (كوتون وسان جوست) وغيرهم قويت نزعة روبسبيير الدينية الرامية الى تطهير الدين من ادرانه الدخيلة عليه اى من (الكهانة) اذا صح التعبير ومال الى اقامة دكتاتورية الانقاذ العام لنصرة الديمقراطية وتثبيت دعائم الحكم الجمهوري وما احوج الثورة الفرنسية — في ذلك الحين — الى الحكم الديكتاتوري لترعرع وتشب بعد ان كادت تخنق وهي ماتزال في المهد من قبل الرجعية الداخلية والخارجية • وليس في تاريخ الثورة الفرنسية اياما كأيام روبسبيير برزت الثورة فيها فارعة ناصعة الجبين ومما لا شك فيه ان الشعب الفرنسي كان كتلة واحدة اللهم الا الخونة المارقين الذين لاتخلو منهم حظيرة ولولا الدعامة الشعبية التي كان يستند اليها روبسبيير لما استطاعت جيوش الثورة القليلة العتاد الحديثة التنظيم المنهكة بالبؤس والمرض ، تلك الجيوش المؤلفة من جماعة الحفاة العراة المضطهدين المستعبدين منذ الحكم الملكي المطلق ، ان تتغلب على اعداء منظمين كثيرين عددا وعددا ولولا ذلك التأييد لما استطاع روبسبيير ان يقضي على ثورات الخونة في الداخل •

لقد كان الناس في ذلك العهد يتحدثون عن الاخلاق القويمة والقيم الادبية ومبادئ العدل والانصاف وذلك بتأثير المبادئ الفكرية التي كان النادى اليعقوبي يقوم بنشرها بين سائر طبقات الشعب الفرنسي • وقد اغلقت جميع اندية اللهو والاماكن العمومية • ان البلاد بخطر ! وأى خطر اقسى من الحرب التي اقحم الجيرونديون — عملاء الملك — الشعب الفرنسي بها رغم معارضة روبسبيير وقد اعلنت الحرب لان مصلحة الملك كانت تقتضي ذلك مما كان يحلم بعد تلك الثورة — الجارفة بان يرجع الى كرسي الحكم الا بمعونة اجنبية توقف الثورة عند حدها • وازاء ذلك الخطر

الحال لم يكن بد لنادى اليعاقبة ان يقوم بواجبه فيمي* الافكار وقد قام بواجبه خير قيام كما ان روبسبيير رئيس هذا النادى — باتخاذه الارهاب وسيلة لغاية شريفة — قد سجل اسمه في عداد الخالدين الذين يدافعون عن صالح شعبهم ووطنهم . فلم يكن من الصلابة بد ، وان الملاهي والاماكن العمومية هي سبب الميوعة والتخنث ولذلك فقد اراد روبسبيير ان ينشئ من الشعب الفرنسي جيلا واعيا مجدا يرفع فرنسة عاليا ويحقق الهناء والرفاهية لابناء شعبه وهذا ما تلجأ اليه الثورات الناجحة المثالية في ايامنا هذه .

ولذلك كان لابد من ديكتاتورية وديكتاتورية مستمرة من اجل تحقيق الديمقراطية المنشودة فلا بد من التخلص من اعداء الديمقراطية وتطهير الاجهزة الحكومية منهم لان العضو المريض احق به ان يبتر من ان يبقى فيأتي على الجسد بمجموعه فقدم روبسبيير الى الكونفنسيون بواسطة كوتون في ١٠ حزيران سنة ١٧٩٤ قانونا يقوى الارهاب فوضع فيه مادة تخول توقيف النواب دون الحصول على موافقة المجلس اى رفع الحصانة منهم فقاوموه بشدة لانهم شعروا بالمنية الآجلة وقد كان ذلك القانون بداية الخاتمة التي انتهى اليها هذا البطل . فصودق على متابعة الارهاب اما توقيف النواب بدون موافقة المجلس فلم يصادق عليه وبذلك فبدلاً من ان يسلط سيف الارهاب على اعناق الفاسدين تلك الطبقة البورجوازية التي كانت تريد ان تجمد مبادئ الثورة وترجع بها القهقرى ، اصاب سيف الارهاب — اولئك الصغار الجياع الحفاة فذهب ضحيته الابرياء والمجرمون اما رأس الافعى والمحرك الاساسي للدسائس والخيانات فقد بقي ضمن المجلس متمثلا في نواب يناصرون القديم ويكرهون الثورة ومبادئها التقدمية . وامعنت لجنة الانقاذ في الارهاب وتحولت المسؤولية على روبسبيير فاصبح في نظر — الجماهير سفاكا مجرما متعطشا دوما للدماء التي لايشبع بها نهمه . فكانت الاسابيع السبعة التي تلت جلسة الثالث من بريريال) اسابيع رهيبة سلط فيها الارهاب على كل رأس وانتهز اعداء روبسبيير ذلك وفي طليعتهم (تاليان وفوشه) فاخذوا يثيرون سخط النواب من جهة وسخط الشعب من جهة ثانية ويحرضون على اسقاط (الطاغية) قائلين لهم : (اذا لم يهلك هو فلسوف تكونون انتم من الهالكين

وقد بقي روبسبيير مدة معتزلا الحياة السياسية بعد فشله في القضاء على اعداء الثورة ثم مالبثت النزعة في متابعة الكفاح ان عاودته . فالقى في ٢٦ تموز خطابا بليغا ظهر فيه روبسبيير بمظهر — الانساني الحقيقي لا بمظهر الطاغية كما كان يصمه خصومه ولعل من المفيد ان اورد بعض ما قاله :

((اعترف لكم بان الخشية قد ساورتني احيانا لما رأيت الرذائل التي دحرجها تيار الثورة هنا وهناك الى جانب الفضائل المدنية التي جاء بها من ان اتسخ في نظر الاجيال الآتية لمجاورتي القذرة لاناس اشرار ٠ فليمدوا لي السم فاني انتظره على هذه المقاعد المقدسة ٠ ولكني وجدت بان اترك وصية طالما خافها مضطهدوا الشعوب ٠ ولسوف اترك لهم الحقيقة الرهيبة والموت ٠))

وقد كان اثناء خطابه ينظر بقسوة الى (تاليان وبوردون ولوكوانتر وبانتابول) اولئك الذين من اجلهم وضع قانون بريريال فاذا بهذا القانون يستخدم ضده وضد الشعب الذى احبه فيرسلون الى المقصلة في شهر واحد (١٢٠٠) شهيد ٠ وقد اخطأ روبسبيير فلم يصرح عن اعدائه حينذاك ولو صرح لاعدموا الواحد تلو الآخر ولهذا اصبح الموت ينتظر كل انسان فكل منهم غريق فما خوف الغريق من البلل ؟ فلا بد/ اذن من النضال ضد الطاغية فاما نصر وخلاص واما موت محتم طعمه في الحالين سواء ٠

فانقدحت الشرارة الاولى من نائب شي يدعى (كامبون) اذ وقف على المنبر وقال : (اريد ان اخاطب فرنسة قبل ان الطخ بالعار ٠ ان رجلا واحدا هو الذى يشل ارادة المجلس وهذا الرجل هو روبسبيير ! ٠) وقد دفع كامبون الى تجرؤه قول روبسبيير مشيرا اليه في خطابه : (اصحاب الاموال الذين يرسلون الدموع امامكم اشفاقا على الشعب وهم يرتشفون دمه في نعم ولذة ٠) وهنا كانت — بداية الانفجار فطلب النواب من روبسبيير ان يدلي باسماء من ورد في اللائحة الجديدة (الخارجين على الثورة) فاعتصم روبسبيير بالصمت ايضا ولم يذكر اسماءهم ٠ الا ان روبسبيير ظل على ثقة بناديه نادى اليعقوبيين وكان حتى النهاية واثقا بان الشعب لن يتخلى عنه فذهب الى النادى فالقى كلمة ورد فيها : (ربما كانت هذه الخطبة التي تسمعونها الآن خطبة الوداع لان الخونة يأتمرون بي ليقتلوني ولكني اذا سقطت تحت ضربات اولئك الاثمة المجرمين فانما اسقط راضيا عن نفسي موقنا باني اديت الواجب علي نحو الوطن والفضيلة والحرية وهي الاقاليم الثلاثة التي ماعشت الا لها والتي يطيب لي ان اموت في سبيلها ٠)

وفي الحقيقة لقد كان روبسبيير مرتاحا مطمئنا ونام في تلك الليلة على اتم مايكون من الهدوء والاطمئنان ٠ اولئك هم العظماء ٠ اصحاب المبادئ في التاريخ لاهم لهم سوى ارضاء ضمائرهم وطالما انهم قاموا بالواجب الملقى على عاتقهم فان راحة اجسامهم لااهمية لها تجاه راحة نفوسهم

وقلوبهم !

ماالذ ى تم في عهد الارهـــاب ؟ يحق لي ان اتساءل عما تم في هذا العهد الذي بالغ خصومه في الاساءة اليه تصويره لنا جحيما اسود قاتما لاقبس من نور يسطع من بين ظلماته ، فهل كان ربابنة السفينة في ذلك العهد حقا من الوحوش الكاسرة التي لاتمت الى البشرية والانسانية باية صلة ؟ وهل كانوا خونة مارقين سلموا بلادهم للاجنبي القوي ؟ او كانوا جبناء تراجعوا امام الموت في سبيل سعادة وطنهم وشعبهم ؟ سأ عرض ماجرى في ذلك العهد وان كانت اكثر الكتب التي بحثت عن الثورة لم تشر بتفصيل ماحدث في ذلك العهد سوى الظلم والقتل والتعذيب وبعد ذلك لاقـــــل كلمتي صريحة في روبسبيير وجماعته . وان اصوب حكم يمكن استخلاصه هو ماكان مستندا على الاقوال اولا فان ترامى الشك اليها فليس اصدق من منطق الواقع . ثانيا وما الواقع هنا الا اعمال روبسبيير وجماعته وهي ادفع حجة واصدق برهان .

لقد تسلم اليعاقبة الحكم وفرنسة تخوض مع اوروبة غمار حرب اصابتها بهزائم متتالية وخســائر فادحة ومع اعداء الثورة حربا داخلية قام بها انصار القديم لارجاع دولاب الحياة خطوة كما كان ، عدا عن التجار الذين احتكروا الحاجات الضرورية فسببوا المجاعة في البلاد فاضعفوا بذلك الروح المعنوية للجيش الفرنسي امام عدوه الجبار . ازاء تلك المصاعب الداخلية والخارجية هل استطاع اليعاقبة أن يكونوا وطنيين وهل نجحوا في رد العدوان الخارجي ؟ نعم لقد استطاع روبسبيـــــر وسان جوست وكوتون في تنظيم الجيش وتجهيزه وقضوا على المؤامرات التي كان يقوم بها انصار الملكية الخونة في انحاء البلاد وامنوا الغذاء والكساء للجماهير الشعبية فضربوا على ايدي المحتكرين من التجار وفرضوا الضرائب الكبيرة على الدخل . كما قاموا بعدد كبير من الاصلاحات فوضعوا القوانين التي تنظم الادارة وعنوا بالثقافة فانشأوا المجامع العلمية وعالجوا كثيرا من المسائل المالية بنجاح كبير . لقد كان هدف روبسبيير ورفاقه ترقية معنوية الشعب الحافي العاري المضطهد لاتقوية ــ البورجوازية واقامتها بديلا عن الملكية الاقطاعية المقضي عليها وقد بذلوا في سبيل ذلك جهودا جبارة .

وفي اجتماع الكونفرسيون في شباط ١٧٩٤ تقرر الغاء استعباد الزنوج في جميع المستعمرات

ولم يخش روبسبيير في ذلك العهد قول الخصوم بانه قد اضاع حقوق فرنسة فاصبح سكان المستعمرات يتمتعون بجميع الحقوق الواردة في الدستور حتى جاء نابليون فالغى هذا القرار . انه لمن العجب ان تبدو تلك الرحمة المتناهية فيلغى الرق من قبل انا مريقال عنهم طغاة ذئاب ضاريي دماء كما وانه لاعجب ان يعد الرق من قبل نابليون فيقال عنه بانه بطل عظيم وفاتح اوصل فرنسة الى قمة المجد . يصمون عهد الارهاب بانه وصمة عار في الثورة ويتوجون الثورة بابنها نابليون وحروبه فيظهر نابليون بمظهر المثل الاعلى للبطولة والوطنية والنبل بينما يظهرون روبسبيير بمظهر الحقير السفاك . انه لمنطق غريب منطق البورجوازية واذنابها ودعاتها . او مازالت تلك السموم راسخة في ذهني واذهان امثالي مما نلقنه في المدارس وفي اكثر الكتب التي تعرض علينا . ولطالما كنا نبتغي ان تكون في حياتنا ابطالا كما كان نابليون الذى اضفت عليه برامج التدريس نوعا من القداسة . منطق غريب في البطولة وكيف يتاح لي ان اصدق بان روبسبيير كان طاغية على ابناء وطنه ورحيما شفوقا على الزنوج المختلفين عنه لغة وعنصرا ودينا . ؟

ان اروع عمل قام به اليعاقبة لما استلموا الحكم عام ١٧٩٣ وقبل عصيان فانديه والحرب الاجنبية اضافتهم للدستور تلك المبادئ العظيمة التي مازالت دساتير العالم تسن على منوالها والتي جعلت من الثورة الفرنسية مؤثرا فعليا في العالم وفي شعوب العالم .

(المادة ١١٨) الشعب الفرنسي صديق طبيعي وحليف صادق لجميع الشعوب الحرة .

(المادة ١١٩) لايتدخل الشعب الفرنسي في الشؤون الخاصة بحكومات الامم الاخرى ولا يسمح مطلقا ان تتدخل الامم الاخرى في شؤون حكومته .

(المادة ١٢٠) يرحب الشعب الفرنسي بالاجانب اللاجئين الى وطنه والمنفيين من بلادهم لنضالهم في سبيل الحرية ولكنهم لايقبل التجاء الطغاة الى بلاده .

(المادة ١٢١) ان الشعب الفرنسي لايهادن ولا يسالم عدوا يحتل بلاده .

فالمادة الاولى تظهر لنا الصفة الانسانية التي تجلى فيها منطق الثورة ولولا الحرب التي جر الجيرونديون بلادهم اليها ولولا الثورات الداخلية التي حرضت عليها الدول الاستعمارية كانكلترة والنمسا لولا ان يتجه فكر رجال اليعاقبة الى مصالح شعبهم ووطنهم لدللوا بسياسة عملية مبلغ صدقهم في هذا الكلام ولأظهروا للملاء بان الشعب الفرنسي هو صديق لجميع الشعوب المضطهدة .

اما العداء للنظام الاستعماري والوطنية الصحيحة فيظهر في المادة الثانية اذ حرم رجال الثورة على انفسهم التدخل مهما كان شكله بشؤون الامم الاخرى كما اعلنوا عن استعدادهم لرد كل ـ هجوم اوعدوان من الخارج • واذا كان روبسبيير طاغية هو وجماعته فكيف نفسر تحريمهم قبول ـ الملذات في بلادهم وفتح ابوابها للمضطهدين من الشعوب الحرة •

والشعب الفرنسي لايهادن ولا يسالم عدوا يعتدي على وطنه فكيف بالملك وبعض الجيرونديين الذين كانوا يساعدون باعمالهم على ادخال العدو لبلادهم لاعادة التفوق الملكي •

ثم قام اليعاقبة بمساعدة جمهور الفلاحين وقرروا في ١٧ تموز سنة ١٧٩٣ الغاء جميع الحقوق الاقطاعية دون تعويض ودون استثناء • اما قضية توزيع الاراضي على الفلاحين فانها لم تحل حلا نهائيا كما حلت قضية الامتيازات الاقطاعية • ففي ٣٠ تشرين الاول من عام ١٧٨٩ اراد المجلس الحصول على موارد للدولة فقرر في ٢ تشرين الثاني ١٧٨٩ تأميم املاك الكنيسة وفي ٤ ايسار ١٧٩٠ قرر بيعها وفي ٣٠ آذار سنة ١٧٩٢ صادرت الدولة قسما من املاك الاجانب والشيوعيين والمواطنين الفارين واعتزمت بيعها من جمهور الفلاحين الا ان كبار الاغنياء نافسوا صغار الفلاحين في شراء المساحات الشاسعة حتى منع اليعاقبة في ٣ حزيران سنة ١٧٩٣ بيع المساحات الكبرى من الارض وقضوا بتقسيمها الى مساحات صغيرة يستطيع الفلاحون شراءها كما سمحوا ببيع هذه المساحات الصغيرة مقابل اقساط سنوية ممن لايستطيعون دفع ثمنها مرة واحدة • الا ان الثوار لم يرضوا بما توصلوا اليه فاصدر مجلس اليعاقبة في شباط وآذار سنة ١٧٩٤ قرارات هامـــة تقضي بمصادرة جميع املاك الاجانب والمهاجرين واعداء الثورة وتوزيعها مجانا على الفقراء المدقعين الا ان هذا القرار لم يشمل جميع املاك الاقطاعيين اذ اعتبروا ان ملكية الوطنيين مقدسة كما جاء في بيان حقوق الانســان •

من هذه الاعمال العظيمة يبدو ان روبسبيير ورفاقه هم الذين اعطوا للثورة الفرنسية قيمتها ـ التاريخية الكبرى واوصلوا الثورة الى نتائج منطقية معقولة ولذا يحق لي ان اطلق عليهم الابطال الحقيقيين للثورة الفرنسية لانهم رافقوها حتى نهايتها •

اما في حقل القول فلا بأس من ايراد بعض اقوال لروبسبيير ورفاقه اذ من خلالها نستطيـــع

ان نتفهم مدى الاثر الفكري الذى بثه هؤلاء المفكرون في الشعب الفرنسي بصورة خاصة وفي شعوب العالم بصورة عامة ٠

قال روبسبيير يحدد اغراض الثورة ، ((انما الوصول الى نظام يؤمن فيه الوطن الرفاه لكل فرد)) ٠ وقال مبررا الارهاب مبينا مهمته في هذه الحياة : ((تحرير المضطهدين من جور الظالمين والدفاع عن الضعيف الذى يستثمره القوي ، ذلك هو الواجب الذى يستشعره كل قلب لم تشبه الانانية ولم يعتره الفساد ٠)) ان مهمتي في الحياة هي الانتصار لأولئك الذين يتألمون ويناضلون ومحاربة المستبدين الذين يجنون سعادتهم من شقاء الآخرين ، دون رحمة بالانسان ٠ ٠٠))

وقال سن جوست : ((لاتقبلوا ان يكون هناك فقراء وبؤساء في الدولة ، بهذا فقط تكونون قد قمتم بثورة واسستم جمهورية حقيقية ٠)) ((ولتعلم اوروبة انكم لاتريدون ان يبقى بعد الآن بائس ولا ظالم على الارض الفرنسية ٠))

((اذا كنتم تريدون اقامة دولة صالحة فيجب ان تهتموا بازالة الفاقة التي تفسد شعبكم ٠ لا فضائل سياسية بلا كرامة ، وليس للانسان كرامة اذا كان غارقا في البؤس ٠))

تلك هي المؤثرات في احدث المبادىء الديمقراطية الفلسفية التي يلجأ اليها رجال السياسة في كل قطر لتأمين سعادة المجموع والقضاء على الفقر والبؤس والمرض الخ ٠٠٠٠

وقال سن جوست : ((ان شعبا ليس سعيدا لايكون له وطن ٠))

وقد القى النائب كوتون صديق روبسبيير في ٢٩ شباط سنة ١٧٩٢ خطابا رائعا في المجلس جاء فيـــه :

((اننا سنقترب من وقت نحمل فيه السلاح للدفاع عن حريتنا ضد القوى الذى حشدها الطغاة وانه لمن الجريمة ان نشك لحظة واحدة في اننا ستحافظ على هذه الحرية ٠ فان شعبا كبيرا يدافع عن حريته لايمكن ان يغلب ٠ فاما ان يسحق اعداؤه واما ان لايترك لهم سوى قفر ورماد ٠))

((فعلى المجلس الوطني اذن ان يحرص على قوة الشعب المعنوية التي هي افضل من قوة الجيش والتي لابد منها كأساس للنظام واساس لسعادة الجميع ٠

ثوريون من ابناء الشعب يريدون تحقيق سعادة الشعب ويثقون بالشعب ثقة لاحد لهـــا له المركز الاول والاخير عندهم كذلك كان رأى روسو الذى اهتدى بهديه اليعاقبة ورئيسهم روبسبيير ٠

ثم انظر الى ماقال (سن جوست) في المجلس بصدد الاضطرابات التي يثيرها اعداء الثورة لعرقلة مشاريع الحكومة الاصلاحية : ((نحن لانعرف سوى وسيلة واحدة لوقف الشر هي توجيه الثورة نحو خدمة الشعب . فاذا انتزعتم الاراضي من ايدي اللصوص ووزعتموها على جميع البؤساء فحينئذ اؤكد لكم بانكم قد قمتم بثورة حقيقية . هل تعلمون ماهي آخر دعائم الملكية والاستبداد ؟ انها الطبقة التي لاتعمل شيئا ولا تستطيع ابدا ان تستغني عن المشارف ، الطبقة التي لاتصنع الخير ولكنها تفكر بالشر ، الطبقة التي تشيع في البلاد الرذيلة والسهر والترف من الحياة العاطلة . الا فارغموا كل انسان على ان يصنع شيئا نافعا ، وان يختار حرفة لاتتعارض مع الحرية ، فأي حق في الوطن لأولئك الذين لايصنعون شيئا !))

ان هذه الخطب الاشتراكية النزعة التقدمية الهدف قد بعثت الامل في صدور الحفاة العراة واقلقت نفوس الارستقراطيين المتمولين فاستغلها اعداء اليعاقبة للتحريض عليهم وقد كانوا بعملهم هذا طبيعيين فعلا لانهم حقدهم الطبقي هو الذي دعاهم اولا واخيرا للقيام ضد روبسبيير وانصاره انصار البائس المظلوم .

من اعمال اليعاقبة واقوالهم ارى ان الثورة الفرنسية حازت تلك الشهرة العالمية وكان لها ذلك الاثر الكبير بين شعوب العالم ولو تركنا الثورة متجهة كما ارادها الجيرونديون او كما ارادها الملك او لو فرضنا بانه لم يتح لها امثال اليعاقبة يوجهونها بتلك المبادئ الديمقراطية والافكار التقدمية لانقلبت عند ذلك الثوار الفرنسيين الى ثورة عديمة الذكر ضئيلة الشأن تشبه الثورات الانكليزية التي كانت تقوم لتحقيق ولتعديل من سطوة الملك وتعديل الدستور لا من اجل قلب جميع النظم — الاجتماعية السياسية الحقوقية رأسا على عقب كما فعل الثوار الفرنسيون . اين هم الرعاع بل اين هم الطغاة ؟ اننا لانجد لهم اثرا الا في قاموس الرجعية انصار كل قديم . ان سياسة روبسبيير الفولاذية قد حطمت كل القوى الرجعية الداخلية والخارجية الى حين وما سبق لدولة ضعيفة منهوكة القوى كفرنسة في ذلك الوقت ان سجلت انتصارات رائعة على اعدائها ويعود ذلك الى اعتماد اليعاقبة على الشعب اوعلى (الغوغاء) كما يقول اعداء الثورة ، اذ ان هذه الطبقة المستثمرة المستغلة منذ اجيال اجيال صارت شعلة ملتهبة لانها علقت الآمال الكبار على انصار الثورة .

واخيرا تم القضاء على روبسبيير وانصاره فاعدموا ومن ثم تراجعت البورجوازية الصغيرة بعد ان

قضت على الاقطاعية قضاء تاما ومهدت السبيل امام البورجوازية الكبيرة التي اتمت تثبيت نظامها الحقوقي والاجتماعي واحكمت سيطرتها على النظام السياسي بواسطة عميلها وخادمها الامين — الامبراطور نابليون • فكانت هذه البورجوازية شرا على الشعب احكمت الشد على خناقه كما كانت تفعل سالفتها •

ولا بد قبل ختام البحث عن عهد الارهاب من ايراد ماقال (لوى مادلان) عضو الاكاديمية الفرنسية : ((وخلف روبسبيير في الحكم اناس كانوا اكثر قسوة منه واقل فضيلة ، اطلق عليهم اسم الترميدوريين نسبة الى الشهر الذى استولوا فيه على مقاليد السلطة • فقد كان روبسبيير رجلا مستقيما نزيها مخلصا بافراط مؤمنا بانه رجل الحقيقة والفضيلة وبان مهمته ان يفرض سيادتهما — بأى وسيلة كانت • ومن المحقق انه لم يكن فاسدا او شريرا او قاسيا او دمويا • ومن هنا كانت فاجعته مؤثرة الى اعظم حد لانه كان يقتل ، ان قتل ، من اجل الفضيلة ، ومن اجلها وحدها •))

الفصل الثالث

العلاقات الدولية ونشوب الثورة

لقد اطلت كثيرا في الكلام عن الجيرونديين وخاصة اليعاقبة ولكن قصدى ؟ من ذلك ليس الا اظهار آثار هؤلاء الثوار وما آثارهم الا تلك الاشعاعات التي تتطاير على مر الايام لتخلد ذكرى الثورة الحقيقية التي قاموا بها ضد الاقطاعية ولتكون منارة تهتدى بوحيها الشعوب المستضعفة المظلومة وحيث ان اشعاع الثورة قد امتد بسرعة الى خارج فرنسة فلا بد لي الآن من ان ابحث العلاقات الدولية اثناء نشوب الثورة واثناء الحكم الثورى ثم سأبحث عن آثار الثورة في الشعوب من جهة وعلى الملوك والاباطرة من جهة اخرى وماذا فعلوا تجاهها ؟ •

يقول السياسي والمفكر الانكليزي ((بارك)) : (ماكدت القي الطرف على خريطة اوروبة حتى لفت نظري فراغ كبير واذا هذا الفراغ فرنسة) • وقد عبر بارك في كلامه وقتذاك عن رأى جوزيف الثاني وبت الاصغر وكاترين الثانية ملكة روسيا في الثورة الفرنسية وخلاصة رأيهم : ان الثورة ما هي الا ازمة داخلية ليس من شأنها الا اضعاف فرنسة وبالتالي التخلص من دولة قوية كانت تنازعهم في

النفوذ . وما اتاح للثورة النمو هو انشغال الرأى العام الدولي بالمسألة الشرقية وقد كانت الحرب في سنا ١٧٨٨ واقعة بين النمسا وتركيا وبين روسيا وتركية . ولكن ماذا كان موقف الثوار تجاه الدول الاوروبية ؟

ان هذا الموقف يظهر الميول السلمية لرجال الثورة تجاه جميع الدول وكان ذلك بالقرار الذى وضعه المجلس التأسيسي الاول في صلب دستور عام ١٧٩١ وهو :

((ان الامة الفرنسية تأبى ان تخوض غمار اية حرب بغية الفتح والاستيلاء وهي لن تستخدم قواها قط ضد حرية اى شعب من الشعوب .)) وفي الواقع لقد كان رجال الثورة من محبي السلام ومؤيديه وانصاره . انهم يحلمون بالحرية لبلادهم وبالسلم لاوروبة . انهم يريدون السلم ريثما تنتصر الثورة في الداخل وتقضي على اعدائها ومن ثمة فلينطلق بيان الحقوق الى اوروبة ليقوض اركان الحكم المطلق واربابه . ولهذا فان الثوار لم يساعدوا الثوار البلجيكيين في ثورتهم ضد النمسا بعد نشوب الثورة الفرنسية بشهرين وان كانوا يدعمون الثوار بقلوبهم وافكارهم . كما ان فرنسة رفضت مساعدة اسبانيا في حرب كانت تريد اثارتها ضد انكلترة رغم التحالف العائلي الموجود منذ سنة ١٧٦١ بين الدولتين الفرنسية والاسبانية . وقد كان الملك يريد الدخول في حرب ضد انكلترة لفرض الاحكام الاستثنائية على الشعب الفرنسي حتى يسحق الثورة ويحل المجلس التأسيسي الا ان الشعب كان يقظا فحال بينه وبين ما اراد فسلخ عن الملك صلاحية اعلان الحرب وعقد المعاهدات .

تلك الاعتداءة من قبل الدول وتلك الميول السلمية لدى رجال الثورة لم تحولا دون الحرب فلا بد من الحرب ولا بد من التدخل لسحق الثورة . هكذا الثورات الشعبية اينما قامت وفي اى زمن قامت لاتلبث ان تجد مقاومة ((صليبية)) وحملة شعواء من اصحاب التيجان والتاريخ يفحمنا بادلته الواقعية على ذلك . وكذلك كان (ان الثورة الفرنسية انما هي مظهر من مظاهر ازمة الضمير الاوروبي والادواء التي تعالجها لا تنحصر في المجتمع الفرنسي فحسب وانما تشمل اوروبة باسرها . وكذلك فان الادوية التي تقترحها الثورة الفرنسية في نظر واضعيها هي عالمية شاملة صالحة لكل ٪ مجتمع وكل شعب في كل زمان وكل مكان .)

لقد ايقظت الثورة الفرنسية بلجيكا ضد النمسا وافينيون ضد البابا وبولونيا التي وضعت دستورها

عام ١٧٩١ صدتوحية مبادئ الثورة كما وانها ايقظت ملوك اوروبة من سباتهم . ثم الغيت في ليل ٤ آب سنة ١٧٨٩ حقوق الاقطاع والامتيازات التي كان يتمتع بها النبلاء وكان بين الاقطاعيين هؤلاء امراء المان يملكون في مقاطعة الالزاس اراضي واسعة فاضطرت الحكومة البروسية لاثارة القضية في المجلس الامبراطوري مستندة الى معاهدة ((وستفاليا)) التي ضمت بموجبها الالزاس الى فرنسة فاحتج الامراء الالمان بان تغيير السيادة وانتقالها لفرنسة لايجب ان يؤثر على اوضاع الامراء لانهم لم يمثلوا في المجلس التأسيسي الفرنسي الذى ليس من حقه ان يمحو بمقرراته الداخلية احكام معاهدة دولية . فيعلن المجلس التأسيسي الفرنسي الجواب « (ان شعب الالزاس انضم الى فرنسة بمحض ارادته ولا ينبغي ان يكون للاتفاقات الدولية التي تتعارض وارادة الشعب اى قيمة حقوقية وبذلك دعم المجلس نظرية تفوق ارادة الامة على الاتفاقات الدولية الجائرة وما زاد الطين بلة هو ازدياد التوتر الدولي بين فرنسة واوروبة بمشكلة رجال الدين وافينيون « لقد عالج المجلس التأسيسي المشكلة المالية بمصادرة املاك رجال الدين وبعدها ساءت العلاقات مع البابا خاصة لما قرر المجلس التأسيسي الفرنسي مبدأ استفتاء سكان مقاطعة افينيون بشأن انضمامهم الى فرنسة وتم الاستفتاء فقرر المجلس ضم افينيون تلبية لرغبة سكانها وقد كان ذلك الاستفتاء الشعبي الاول من نوعه في تاريخ الديبلوماسية المعاصر وقد جرى ذلك في عام ١٧٩١ .

اما المهاجرون فقد كانوا مدفوعين بنزعتهم الطبقية الرامية الى اعادة النظام الاقطاعي القصاريقومون بنشاط سياسي متواصل لدى الملوك يحرضونهم على رجال الثورة كما ان لويس السادس عشر وزوجته ماري انطوانيت لم يتوانيا لحظة من الاتصال بالدول الاوروبية لقمع الثورة وارجاع الحكم الملكي المطلق الى سابق عهده . ولهذا دخلت النمسا وبروسيا في مفاوضات سرية منذ شباط سنة ١٧٩١ وفي ٢٧ آب وقع امبراطور النمســا وبروسيا اتفاقا في قصر (بللنتز) اعتبرا فيه ((استتباب النظام والحكم الملكي في فرنسة من الامور التي تعنى بها جميع الدول وانهما ــ اذا ما اقرت الدول ذلك ــعلى استعداد لاتخاذ جميع التدابير التي من شأنها بلوغ الهدف المقصود)) .

اما وليم بت الانكليزي فقد كان يميل الى سياسة (الترقب والتريث) كما كانت كاترين الثانية منشغلة بشؤون بولونيا . اما رجال الثورة فقد كانوا منقسمين الى ملكيين دستوريين ومنهم لافاييت وبارنات

وهم لا يريدون الحرب لانها تؤدى الى خروج السلطة من ايديهم • والى جيرونديين معتدلين من اليعاقبة (بريسو وديموريه) وقد كانوا من مؤيدى الحرب • والى يعاقبة ومنهم روبسبيير ومارا فقد كانوا يعارضون في اعلان الحرب قبل القضاء نهائيا على اعداء الثورة في الداخل • اذ كيف يمكن تطبيق مبادىء الثورة في الخارج قبل تطبيقها في فرنسة نفسها فلا بد من نقطة ارتكاز يكون منها الانطلاق •

وما ادى الى الحرب ميل اكثر اعضاء المجلس التشريعي الى سياسة الحرب وفشل جميع الجهود الدبلوماسية التي بذلها المجلس التشريعي بسبب نشاط الملكة والمهاجرين في الخارج كما ان الدول الاوربية لم تكن تمحط الثورة الفرنسية اهميتها فلم تعر مساعيها الدبلوماسية كبير اهمية بل كانت تفضل اعادة الملكية طمعا في مغتنم تكسبه في الحصول على بعض الاراضي من فرنسة • ولما تولى ديموريه وزارة الخارجية في ١٥ مارس سنة ١٧٩٢ اصدر المجلس التشريعي قرارات شديدة بينها انذار الى امير (تريف) وهي ولاية المانية كان يحتشد فيها المهاجرون اعداء الثورة يطلب منه ان يفرق امير تريف المهاجرين ويبعدهم الى ماوراء حدوده والا فان فرنسة تعتبر بقاءهم عملا عدائيا يهدد الثورة بالخطر فاوعز امبراطور النمسا (ليوبولد) الى امير تريف بتفريق المهاجرين كما ابلغ الحكومة الفرنسية بان جيوشه ستساعد امير تريف اذا ما اعتدت عليه الجيوش الفرنسية • ومما ساعد في اعلان الحرب تشجيع الملك والملكة رجال الثورة المتطرفين ليعجلوا بالتدخل الاجنبي • وهنا نجد ان سياسة الملك في الحرب كانت متفقة مع سياسة الجيرونديين والحكومة المؤلفة منهم • ولست ادري اهي الصدف التي وفقت بين سياستهما ام ان الجيرونديين ومعظمهم من النواب البورجوازيين كانوا يريدون المحافظة على سلطة الملك بطريق التدخل الاجنبي خاصة لما رأوا تيار الثورة يجرف في طريقه الملكية واتباعها ؟

وكان الرد على انذار امبراطور النمسا ان وجهت حكومة الجيرونديين انذارا الى الامبراطور تطلب فيه نقض تحالفه مع بروسية لانه موجه ضد سلامة فرنسة كما تطلب فيه عدم مد المعونة الى المهاجرين اعداء الثورة • فاجاب على الانذار (فرانسوا الثاني) ابن ليوبولد وكان عسكري التربية والخلق :

١ — ان تعيد الحكومة الفرنسية الى الامراء الالمان في الالزاس حقوقهم وامتيازاتهم الملغاة •

٢ ـ ان تعيد افينيون المنضمة لفرنسة الى البابا ٠

٣ ـ ان تقمع الحكومة الفرنسية في بلادها كل ما من شأنه تعكير صفو الدول الاوروبية الاخرى ٠

ومن هنا بدأت حروب الثورة وكان ذلك في ٢٠ نيسان سنة ١٧٩٢ وقد اعلنت فرنسة الحرب على ملك هنغاريا وبوهيميا راغبة من وراء ذلك ان ترى الشعب الالماني بانها لاتحاربه كأمة وانما تحارب امبراطور النمسا باعتباره معتديا على حرية الشعب الفرنسي ٠ ان مما يؤخذ عن الجيرونديين اعلان هذه الحرب التي لم يعدوا لها العدة الكافية وقد كان بالامكان حينذاك الانتظار واتباع ٪ ديبلوماسية حكيمة تبعد شبح الحرب عن فرنسة الضعيفة المنهكة ٠

كيف كان الوضع في فرنسة حينذاك ؟

لقد كان الجيش الفرنسي ضعيفا قليل العدد غير منظم لايثق برؤسائه اغلب قادته من النبلاء وهل يعقل ان النبلاء من اجل الثورة وفي سبيل انتصار الثورة ؟ اما ملك فرنسة فقد كان منهمكا مع النمسا بالتآمر ضد مصلحة وطنه لاعادة النظام الاجتماعي الواهن اليها ٠ وما كان يتوقع لفرنسة في ذلك الوقت سوى الهزيمة ٠ فاقال الملك حكومة الجيرونديين ارضاء للرأى العام الفرنسي ٠ثم حدث انقلاب ١٠ آب سنة ١٧٩٢ بعد ان ثبت للشعب بان الملك يتآمر على سلامة الوطن فانتخب بدلا عن المجلس التشريعي مجلس جديد يدعى بالمؤتمر الوطني

وفي ٢٠ ايلول سنة ١٧٩٢ تم انتصار الجيوش الفرنسية في معركة فالمي الشهيرة وانقلبت الآية فبدأت الجيوش الفرنسية تدحر العدو وتاخرجته من بلادها ثم احتلت (نيس) و (سافوا) وضفة الرين ـ الشمالية وبلجيكا ٠ وفي ١٩ نوفمبر سنة ١٧٩٢ قرر المجلس الوطني مساعدة جميع الشعوب الحرة في كفاحها ضد الظلم وهكذا انضمت بلاد كثيرة الى فرنسة بعد الاستفتاء منجذبة بمغناطيس الثورة وبرز في ذلك الحين مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها ٠

ولما رأى وليم بت خطر الثورة من حيث اخلالها بالتوازن الدولي اولا ومن حيث ايقاظهـــا للشعوب المظلومة ثانيا ضد الحكم المطلق تخلى عن سياسة التريث والانتظار فطلب الى القائم بالاعمال الفرنسية في لندن ترك البلاد فرد المجلس الوطني باعلان الحرب على انكلترة في اول شباط سنة ١٧٩٣ وامر الجيش الفرنسي باحتلال هولندا ٠

ان التحالف الاول المؤلف من انكلترة ـ هولندا ـ النمسا ـ بروسيا ـ روسيا ـ اسبانيا ـ البرتغال ـ سردينيا ـ نابولي ـ دول المانيا ـ لم يتشكل الا بعد حل قضية بولونيا وتقسيمها بين روسيا وبروسيا في كانون الثاني سنة ١٧٩٣ . فبعد ان انكسرت بروسيا في الحرب طالبت بجزء من بولونيا لقاء عودتها الى الميدان . كما ان النمسا كانت تريد الحرب بسبب احتلال بلجيكا من قبل فرنسة . اما روسيا فقد كانت منشغلة بحرب مع تركيا وبالقضية البولونية الا انها لم تتوان لحظة عن اظهار عدائها للثورة ولرجال الثورة .

لم تجد ديبلوماسية فرنسة تجاه ذلك التحالف الضخم وقد كانت ديبلوماسية الحكومة متناقضة مع ميول الجيروندييين للحرب . لقد اخذت الديبلوماسية الفرنسية تميل في ذلك الحين الى الكف عن الدعاوات الثورية في البلدان الاجنبية لتخفيف حدة التوتر الدولي وهنا يبدو لنا روبسبيير مصيبا برأيه قبل وقوع الكارثة هو ومارا فقط وقد اراد استتباب الامن والسلام . لقد كانا يريدان وقتذاك القضاء على البورجوازية الفرنسية اولا ومن ثمة ينتقلون الى مناصرة الشعوب المظلومة . وعلى كل حال فان الجيروندييون قد بذلوا الجهد للحيلولة دون تطور الثورة . الا ان اليعاقبة بمساندة الشعب ارغموهم على ترك الحكم بعد ان بدا خطأهم للشعب الفرنسي بينا خاصة عقب خيانة ديموريه وانضمامه الى الاعداء .

وفي سنة ١٧٩٣ عطل الدستور واقيمت حكومة ثورية انقلابية تحت قيادة روبسبيير تتمتع بصلاحيات واسعة للوقوف تجاه الخطر الداهم .

كيف استطاع روبسبيير ان ينقذ فرنسة الضعيفة الهزيلة من خطرين ؟ الخطر الاجنبي والخطر الداخلي الذي قامت الثورة من اجله كيف ساعد روبسبيير على نجاح فرنسة في احتلال هولندة وبلجيكا وغزو اسبانيا وايقاع الاضرار بها ؟ لقد كانت لجنة السلامة العامة تقود سياسة فرنسة الخارجية وكان روبسبيير الديبلوماسي مهيمنا عليها برأيه الصائب فسعى :

١ ـ لاقامة علائق اقتصادية سياسية مع الدول المحايدة كسويسرا والدانيمارك واميركا .

٢ ـ الاقلاع عن سياسة الفتح التي اتبعها الجيروندييون لتأمين التعاون الاقتصادي السياسي .

٣ ـ انشاء جبهة عالمية من الشعوب لمجابهة التحالف المعادي للثورة فارسل روبسبيير الوفود الى ايران والسويد وجنوة والدانيمارك وتركيا .

٤ ـ ايجاد جاسوسية وعملاء في بلدان الدول المتحالفة محكمة البنيان متينة الحلقات مهمتها بث الشك والحذر وسوء الظن بين الدول المتحالفة كل بمفردها • ومما فعل في هذا المضمار اطلاع بروسيا على المفاوضات السرية بين روسيا والنمسا لتأمين قمع الثورة البولونية وتقسيم بولونيا نهائيا وقد كان ذلك عن طريق روبسبير الذي ارسل نص الاتفاقية السرية الى بروسيا •

ولذا نرى ان هذا التحالف قد فشل فطلبت اسبانيا الى الصلح خوفا من احتلال اراضيها ووقعت مع فرنسة معاهدة (بال) بينها وبين فرنسة واعترفت بموجبها باحتلال فرنسة شمال الرين ولم يبق من اعضاء التحالف سوى انكلترة والنمسا •

والآن ماهي احكام معاهدة (بال) وهل كانت هذه المعاهدة ظفر للديبلوماسية الفرنسية ؟
بدأت مفاوضات الصلح بتاريخ ٢٢ كانون سنة ١٧٩٥ في مدينة (بال) بين مندوب فرنسة (بارتلمي) ومندوب برسية (هاردنبرغ) وانتهت اخيرا بعقد معاهدة بال بتاريخ ٥ نيسان وورد فيها مايلي :

((تعهدت فرنسا بانها لاتجتاز الاراضي الالمانية الواقعة في القسم الشمالي من (مه ين) وتعهدت حكومة المانيا بانها لاتجند جنودا للاشتراك بالحرب ضد فرنسة بل تبقى على الحياد على ان تتخلى فرنسة لبروسيا عند عقد الصلح بين الدول الاوربية عن اراض جديدة في مقابل حيادها وان تكف فرنسة عن الاشتغال في قضية بولونيا • وقد امنت فرنسة بهذه المعاهدة حياد المانيا الشمالية التي اصبحت تحت حكم برسيا اما القسم الجنوبي فقد بقي في حاله حرب مع فرنسة •

اما هولاندة فقد الفت حكومة سميت (جمهورية باتاويا) عقب احتلالها من الفرنسيين وقد طلب الاهالي من فرنسة ان تعترف لهم بهذه الحكومة فطلبت منهم الحكومة ان يتخلوا مقابل ذلك لفرنسة عن اراضيهم الواقعة جنوبي نهر (الموز) واخيرا تقرر مايلي :

تعترف فرنسة بجمهورية (بتاويا) رسميا •

تتخلى بتاويا لفرنسة عن مدن (فله سنيك) و (برغ ـ اوب ـ زوم) و (بوا ـ لو ـ دوك) و (كراف) الخ

يؤدي اهل هولندة الى فرنسة غرامة حربية قدرها (١٠٠) مليون فلورين وتقدمون عمارة بحرية تؤلف من (١٢) سفينة حربية و (١٨) سفينة مساعدة مع (٢٥٠٠٠) جندي للاشتراك بالحرب معها ضد انكلترة • وهكذا صارت هولندة معوانا لفرنسة في حربها ضد انكلترة •

اما ملك اسبانيا (شارل الرابع) فبعد ان كان ميالا للحرب مع فرنسة اتجه الى عقد صلح معهـــا لاسيما ان اثرت انتصارات الجيوش الفرنسية في اراضي اسبانيا وقد كان الاسبان متساهلين فـي شروط المصالحة فابرمت المعاهدة في (بال) ايضا بتاريخ ١٢ تموز سنة ١٧٩٢ وقد تم الاتفاق فيها على مايلي :

((ان تتخلى فرنسة لاسبانيا عن البلاد التي احتلتها في اقاليم (قاتالونيا) و (فاتار) و (كيبوسكوا) من بلاد اسبانيا ·

وان تترك اسبانيا لفرنسة مستعمرتها في جزر (سان دومينيك) كما وان فرنسة ربحت معنويا باعتراف ملك اسبانيا البوربوني بشكل الحكومة التي تألفت في فرنسة بعد الثورة اى انه اعترف ضمنيا بالجمهورية الفرنسية ·

وكذلك فعل باقي المتحالفين ضد فرنسة فصرحت حكومة (ساكسونيا) و (هس) الالمانيتان ان عداواتهم لفرنسة كانت بتشويق من النمسا واظهرتا ميولهما بتجديد الصلات والعلاقات الرسمية مع فرنسة كما اسرعت حكومتا البرتغال ونابولي الخاضعتان لنفوذ انكلترة بعقد الصلح مع حكومة فرنسة وكذا البابا ودوق (بادن) اعلنا بانهما لم يكونا على خلاف مع فرنسة في زمن من الازمان ·

وبذلك فقد تم لفرنســـة ان توســـع نطاق حدودها فاصبحـــت تمتد الى نهر الرين ·

الباب الـــرابع

خصائص الثورة الفرنسـية ونتائجهــــــا

الفصل الاولــــــ

خصائص الثورة الفرنســـــية

١ ـــ ان احداث الداخل واحداث الخارج هي جد مرتبطة ومتماسكة يتم بعضها البعض الآخر بصورة متواصلة حتى ان تاريخ العصر الحاضر حاصل من تقلباتها بعضها على بعض •

ان الحدث المهيمن في تلك الحقبة والشيء غالبا هو الحرب التي خاضتها فرنسة دون تبصر في ٢٠ نيسان سنة ١٧٩٢ والتي بقيت حتى ١٨ برومير اى مدة سبع سنوات ونصف ه حرب فريدة بذاتها غريبة بنوعها لان فرنسة اضطرت ان تجابه ليس فقط ملكا او اميرا بل وقفت وحيدة عزلاء امام جميع ملوك اوروبة الذين ارادوا الحيلولة دون امتداد لهيب الثورة الى بلادهم وممالكهم ان وقوع الوطن بخطر داهم كان منذ هربية الملك المعلنة في ١١ ايار سنة ١٧٨٩ ذلك الخطر الذى امتد حتى عام ١٨١٤ •

ولذا كان على الحكام ان ينحوا في حكمهم وينتهجوا سياستهم سياسة حربية • ان الحرب هي التي اسقطت الملكية في ١٠ آب ١٧٩٢ رغما عن الجمعية العمومية وهي التي سببت مذابح سبتمبر كما انها احوجت اتخاذ تدابير استثنائية للدفاع الوطني • فاعلن مبدأ التجنيد الاجباري فاصبح عدد الجنود نحو (٣٠٠٠٠٠) مقاتل • ثم صدرت قرارات المصادرة العمومية التي حست المهاجرين ورجال الدين باموالهم لكي تجهز الجنود بالاسلحة والعتاد والرواتب الخ ••• وذلك لتأمين (١٢٠٠٠٠) مقاتل في الجبهة • فالحرب كذلك مهدت للارهاب والحرب هي التي بررت وحدها تلك السياسة • لقد استلزمت الحرب حكما ثوريا طارئا لظرف طارىء • وحدث عدة حروب وعدة معاهدات (معاهدة بال ولاهاى) سنة ١٧٩٥ (كامبو فورميو) سنة ١٧٩٧ وحلفا ثانيا سنة ١٧٩٩ وهذا مادعا الى الصيرعهنة ثورية وان دوام حكومة الحرب هو الذى سول لروبسبير ان يتسلم السلطة

منذ سنة ١٧٩٢ · اذن فمنذ هزيمة الملك ادرك اهل البلاد بان الخطر الاجنبي ماثل وظل ذلك حتى سنة ١٧٩٩ · لقد كان الفرنسيون يتعرضون في كل يوم لتأثيرات وحوادث داخلية وخارجية واذا ماقصنا الاحداث الداخلية عن الخارجية فان ذلك تجاهل للواقع وانكار للفهم ·

٢ — في لائحة الحوادث والافعال السياسية ، يجب دوما الرجوع الى وقائع النظام الاقتصادى الذى يوجه هذه الحوادث وان تاريخا سياسيا محضا للثورة يشكل ذاتا لامعنى له اذا مابعد الباحث — التطورات الاقتصادية ·

ان المحاصيل الرديئة هي التي جرت الى البلبلة الشعبية عام ١٧٨٩ حيث صوت المجلس التأسيسي على القانون الحربي في ٢١ تشرين الاول ١٧٨٩ وقلة المحاصيل وندرتها هي التي سببت حركات الاشهر الاولى من عام ١٧٩٣ والتي انشأت الخلاف الاساسي بين الجيرونديين واليعقوبيين الجبليين · فالجيرونديون كانوا يريدون احترام حق الملكية المطلق بينما يريد اليعاقبة بعد ملاحظة الحاجة الماسة الموقتة على الاقل — تأمين موارد معيشية تحتاج الى ادخار ومصادرة وفرض ضرائب الخ ····

٣ — على نهج باريز نهجت فرنسا كلها ، — ان دور باريز كان رئيسيا خلال الثورة ، فباريز هي التي قامت بحوادث الايام والليالي الثورية : ((١٤ تموز و ٥ و ٦ تشرين الاول ١٧٨٩ · ١٠ آب ١٧٩٢ ٣١ مايس ١٧٩٣)) وما نهجت سائر المناطق دور المبادهة قط · ان تأثيرات الثورة ليست آنيـــة ولذلك كانت المناطق الاخرى متأخرة عن باريز وكانت تتلقى مباحثات كانت المناطق تجهلها · ومن هنا نشأ اختلاف الاحزاب في باريز وفي المقاطعات فكان شتاء عامي ١٧٩٢ و ١٧٩٣ بينما كانت باريز ميدانا للخصام بين الجيرونديين واليعاقبة كانت المناطق كما كانت ايام المجلس التأسيسي في نضال مستمر بين الوطنيين والارستقراطيين ضد او مع الثورة فكانت المقاطعات تعاني كل ايامها مقاومة مستمرة من قبل الملكيين ثم تفاجأ بمباحثات باريز التي ماكانت تفكر بها قط ·

٤ — ان الثورة هي نتاج الاقلية الشعبية ، يقول ماثييز : ان الثوار لم يكونوا سوى اقلية بين شعب غير آبه اذا لم نقل بانه كان عدوا · ان الحكام نظموا استشارات حكومية كانعقاد الجمعية العمومية وانتخابات في سنة ٩٠ — ٩١ — ٩٢ — ٩٥ — ٩٧ — ٩٨ — ٩٩ · وكان الشعب المتحصـــر نادرا ماتتاح له الظروف ان يعبر عن ارادته او رغبته ، انه لم يستعمل هذه الارادة قط الا حينمــا

تشكل الحرس الوطني وان النصاب لم يكتمل في المجالس الاولية اذ ان الاغلبية كانت تمتنع عن اعطاء اصواتها فكل شيء في النظام والادارات كانت نتاج الاقلية وعلمها • فاليعاقبة استأثروا دونا في التصويت وهم الاقلية المحركة مؤلفين من جماعات كانت تشكل النوادى وتزعم بانها تعمل باسم — الاكثرية • انهم قالوا ذلك وانتهوا الى الاعتقاد به كما حملوا الناس على الاعتقاد بذلك فالاقلية تستطيع ان تتسلم زمام الامور الى مدة بتنظيمها وصلابتها اما ان تحافظ على سلطتها وتبثها فان ذلك غير ممكن الا بتأييد ومساندة الاكثرية • وقد تغيرت الاقلية خلال مراحل الثورة ففي الزمـــن القديم كانت الاقلية هي صاحبة الامتيازات • وفي عام ٨٩ اصبحت الاقلية البورجوازية تناضل ضد الملكية ثم في عام ٩١ و ٩٢ كانت الاقلية اليعقوبية تناضل ضد انصار التاج القدماء من جهة ومن جهة ثانية ضد حزب (الفيان) المعتدلين انصار المحافظة على الملك الدستوري • وفي عام ٩٢ و ٩٣ كانت الاقلية البلدية والجبلية سائدة فازاحت من طريقها الملكيين الارستقراطيين — والجيروندييين وان ترميد وريسجل هزيمة الاقلية التي لم يكن لديها الوقت لتجمع حولها الكتلة الشعبية

ولذا فان البورجوازية الكبيرة ستستلم الحكم من جديد وستحكم الاكثرية • لقد شاء سوء الحظ ان تنجح تلك الطبقة البورجوازية وكان عليها لكي تؤمن سلامة حكمها ان تفتش عن معونة خارجية وتصيد للوطن دفعة واحدة الملكية المقضي عليها •

٥ — لم تكن الثورة منذ اتجاهها الاول تحمل في طيها فتنا وتعصبا بل كانت الطبقات البورجوازية المتحررة والطبقات الشعبية كتلة واحدة يجمعها هدف واحد هو القضاء على النظام الاقطاعي القديم وابداله بحكم شعبي جديد •

٦ — ان الثورة الفرنسية بعيدة عن ان تكون واحدة انها تمثل قفزات متعددة او انها تحتوى في ذاتها على مجموعة متتالية من الثورات • بعد اجتماع المجلس الوطني في ٣ حزيران ١٧٨٩ كتب احد النواب قائلا : ((ان الثورة قد انتهت وانها لم تكلف نقطة واحدة من الدم •)) الا ان الامر لم يكن كذلك فقد كلفت الثورة كثيرا من الدم وان اكثر من عشر سنوات مرت قبل ان يظهر الفاصل الذين استطاعوا ان يعلنوا : ((بأن الثورة قد بلغت نهايتها بالمبادىء التي بدأوا بوضعها)) • فالثورة لم تكن عمل جماعة او حزب او فرد وليست في جوهرها وفحواها الا ثورات متتالية متتابعـــة

فقد ظهرت الثورة كما قال ماتييز في بادئ الامر لما هب النبلاء الارستقراطيين ضد الملكية المطلقة او بما يسمى (بما قبل الثورة) ويسميها ثورة النبلاء • ان هذه الانتفاضة من الاقلية الممتازة — (صاحبة الامتيازات) وضعت سلطة الملك على بساط البحث وبينت ان بالامكان مقاومتها فهي التي مهدت الطريق ••• اما الثورة الثانية فقد قام بها النخبة البورجوازية وهم اقلية في المجلس • وعلى اثر الثورة الثالثة حين حاول الملك الفرار اعلن سقوط الملكية وفي الحقيقة انها كانت الثورة الفعلية قضى اليعاقبة فيها على الجيرونديين •

٧ — كانت الثورة ضد رجال الدين • — ان الثورة ليست كما قال عنها بعض المؤلفين ضد الدين وانما هي تدخل ضد تدخل رجال الدين في السياسة باعتبارهم يتمتعون بامتيازات اذ ان حكومة الثورة صادرت املاكهم وجعلتها ملكا للوطن واجبروا على قسم اليمين فظهرت مقاومة الذين لم — يقسموا اليمين الدستورية فصاروا من اكبر اعداء الثورة •

٨ — ان الثورة لم تكن تشكل تجاوزا على المالكية الفردية وان كانت اخلت نوعا ما بحق الملكية عندما صادرت اموال رجال الدين وجعلتها ملكا للوطن بغية انقاذ الوطن من غائلة الافلاس • كما صادرت اموال المهاجرين ولكن لكي تعاقب اعداء لم تكن تستطيع الوصول اليهم •

٩ — ان الفلسفة الفردية كانت متغلغلة بروح الثورة اللهم الا واستثناء للظروف التي تطلب اللجوء الى الاساليب الاشتراكية • واحتراما لحقوق الفرد لم تتجاوز الثورة على حق الملكية وهذه الفلسفة تعود الى فلسفة ذلك العصر التي عبر عنها بيان حقوق الانسان والبشر سنة ٨٩ • اما اثناء الحرب فان النظام الاقتصادي الذي اراد الجبليون تنفيذه بالاجبار لم يكن فقط لتغذية وتجنيد وتسليح المدافعين عن الوطن ولكن لاحياء الوطن نفسه الذي تعرض للخطر •

فالضرب على ايدي التجار والمحتكرين كان مفيدا للمجموع ايام روبسبيير وسن جوست صديقي الطبقات الشعبية الكادحة • وكان روبسبيير يريد ان يحول ديكتاتوريته الموقته الى ديكتاتورية طبقية الا انه سقط فاستعادت الفردية حقوقها •

الفصل الثانـــي

نتـائج الثـــورة الفرنســـية

ان الثورة الفرنسية كانت ضد الحكم المطلق كمؤسسة وضد الامتيازات باسم المساواة والحرية والاخاء . فاوروبة بمجموعها كانت في القرن الثامن عشر تنوء تحت عبء الحكم المطلق والامتيازات ولذا كانت الثورة منارة للجميع وهذا ماجعل منها حدثا رئيسيا في التاريخ العالمي .

لقد انفجرت الثورة في فرنسة لأن الاستبداد فيها كان على اشده . ان استعباد الاقطاعية ولد نضالا بين فلاحين وملاكين عديدين وما جعل الظلم صارخا حقوق الاسياد وضغط الاسياد الاشراف . وقد كان الجيرونديون على حق حينما حاولوا في دعايتهم خارج فرنسة قائلين :

((حرب ضد الطغاة ، ضد القصور ، السلام للاكواخ !)) وكما يحدث غالبا تعرضت الثورة لاعداء داخليين وخارجيين .

ان الثورة كانت (رسول المساواة) وهي عالمية وليست خاصة بالفرنسيين وحدهم واستطيع ان اقول بانها غزت العالم وما تزال تغزوه وقد كانت موفقة في غزوها ، فالحكم المطلق في اوروبة مالبث ان تلاشى الواحد بعد الآخر وتنوعت الدساتير وزالت العبودية او كادت تزول . فتوحدت الشعوب المظلومة في حكومات بعد ان تحررت . فأي بلد على وجه البسيطة ليس مدينا لروح الثورة الفرنسية حتى فرنسة تعرضت لسقطة عجيبة في رجعتها عام ١٨١٢ فسلبت منها حريتها لانها لم تحترم حرية غيرها . فنابليون المفتون للفتح عندما اراد ان يسيطر على اوروبة وجد امامه الشعوب شجرة الى المعركة باسم الحرية التي اعلنتها الثورة الفرنسية . فما كسر نابليون ابن الثورة العامة الا نفس الثورة التي خرج عن مبادئها . ان ثورة اليعاقبة قد سقطت بترميد ور المشؤم ، وبخدمات نابليون التي لاتقدر للبورجوازية الكبيرة ولكن الثورات التي تسقط لاتذهب هباء وانما تترك بالنفس والقلب بذورا لاتلبث ان تنمو آجلا لتقدم للبشرية اينع الثمار . لقد تخلل الثورة دماء ودموع غير ان دموع التماسيح التي يذرفها اعداء الثورة حزنا وتأسيا على ضحايا الثورة المارقين ايام عهد الارهاب ماعرفناها منهم خلال ترميد ور وخلال العهد النابليوني وبعد ان اصابت مبادئ الثورة عثرات ونكسات

باعادة الحكم المطلق بواسطة لويس الثامن عشر الذى اعاد الى الحرية التماسة الكبرى ٠ !

ان الثورة عمل ابطال وجبابرة فهي التي خلقت النظام المتري وابدعت لنا القانون المدني فأى عصر له تلك المزايا واى عصر له فضائل كهذه ! فالمجد والعظمة لهؤلاء الوطنيين ٠ !

((ان شعبا ليس سعيدا ليس له وطن)) هكذا قال (سن جوست) في الحرب مع الاجانب قصد المشرع انشاء الوطن الفرنسي فكافأ الشعب بقوانين جديدة وفهم الشعب بان عليه ان يدافع عن هذا الوطن ولم يكن يدافع عنه ذلك الدفاع المجيد ولا يضحي بتلك التضحيات الجبارة لولا مكافأة الوطن له ٠ لقد كانت الثورة املا عظيما فتحقق بعضه ووثبة جبارة من وثبات التاريخ ٠

ان الظفرات والآمال تبقى راسخة ثابتة امد العصور ٠ وقال ماتييز : (ان عصر اليعاقبة سيصير قليلا) ثم يستنتج فيرى بكل الم الامبراطورية تلغي الحريات في كل ثورة جديدة كان يظن بان الجمهورية المثالية سوف تولد ٠ ان شمس سنة ١٧٩٣ التي اضاءت على الدنيا قد اخفت صفرتها الحلوة وراء الافق المعتم الا انها حفظت في اعماق الروح الاشعاع الخالد ٠)

واخيرا بعد ان انتهت الثورة الفرنسية تاركة من الآثار مايخلدها على مدى الاجيال لابد من ذكر ماقاله التاريخ في الثورة :

((ان الثورة الفرنسية حين انفجرت كانت تجمع تحت لوائها جميع الطامحين الى مجتمع احسن من كبار البورجوازيين الى الفلاحين المدقعين ٠ ولكن البورجوازية الكبرى التي سيطرت على — مقدرات الثورة في اول امرها لم تقدم الا على الغاء القيود الاقطاعية وتقييد سلطة الملك المطلقة وتأسيس نظام سياسي تمثيلي تكون لها فيه السيطرة على التشريع والسياسة والاقتصاد وقد اكتفت بما وصلت اليه من هذه الامور بينما كانت البورجوازية الصغيرة وطبقة الفلاحين تهدفان الى الغاء النظام الاقطاعي واستبداله بالملكية الصغيرة بتوزيع الاراضي بين الفلاحين مما ادى الى الانتقال من الدور الاول للثورة (١٧٨٩ — ١٧٩٢) وهو الطور الذى سيطرت فيه البورجوازية الكبيرة الى الطور الثاني الذى سيطرت فيه البورجوازية الصغيرة (١٧٩٢ — ١٧٩٤) وقد تحولت فيه الثورة الى حرب اهلية انتهت باستيلاء الفلاحين على اراضي النبلاء والاقطاعيين ولم تكن ديكتاتورية روبسبيير في الواقع الا غضبة الطبقات الشعبية على تنكر البورجوازية الكبيرة

لمبادئ الثورة الاساسية وتساهلها مع اعداء النظام الجديد ورفضها السير بالانقلاب الى نهايته تحقيقا لمطالب الجماهير الكادحة من الشعب . وقد كان طبيعيا ان لاتتمكن البورجوازية الصغيرة من البقاء طويلا في الحكم وان تضطر بعد ان تتم عملها الثوري بالقضاء على الاقطاعية قضاء تاما بطبيعة درجة التطور الاقتصادي التي تسود بلادها في ذلك العهد الى التراجع امام البورجوازية الكبيرة التي اتمت تثبيت نظامها الحقوقي والاجتماعي وامنت سيطرتها على النظام السياسي بواسطة ديكتاتورية نابليون .

تمت

(مصـــادر الرســـالة)

١ ـ كتاب التاريخ السياســي : (تأليف الاستاذ عثمان سلطان)

٢ ـ تاريخ العلاقات الدوليــة : (تأليف الدكتور محمد الفاضــل)

٣ ـ ماذا اعرف عن الثورة الفرنسية : (تأليف ماتييـــز)

٤ ـ روبسبيير بطل الثورة الفرنسية : (تأليف الاستاذ قدري قلعجي)

٥ ـ الثورة الفرنسية ونابليون : (تأليف الدكتور محمد صــبري)

٦ ـ مبادئ الحقوق العامة : (تأليف الدكتور فؤاد شـــباط)

(عناصـر البحـــــث)
